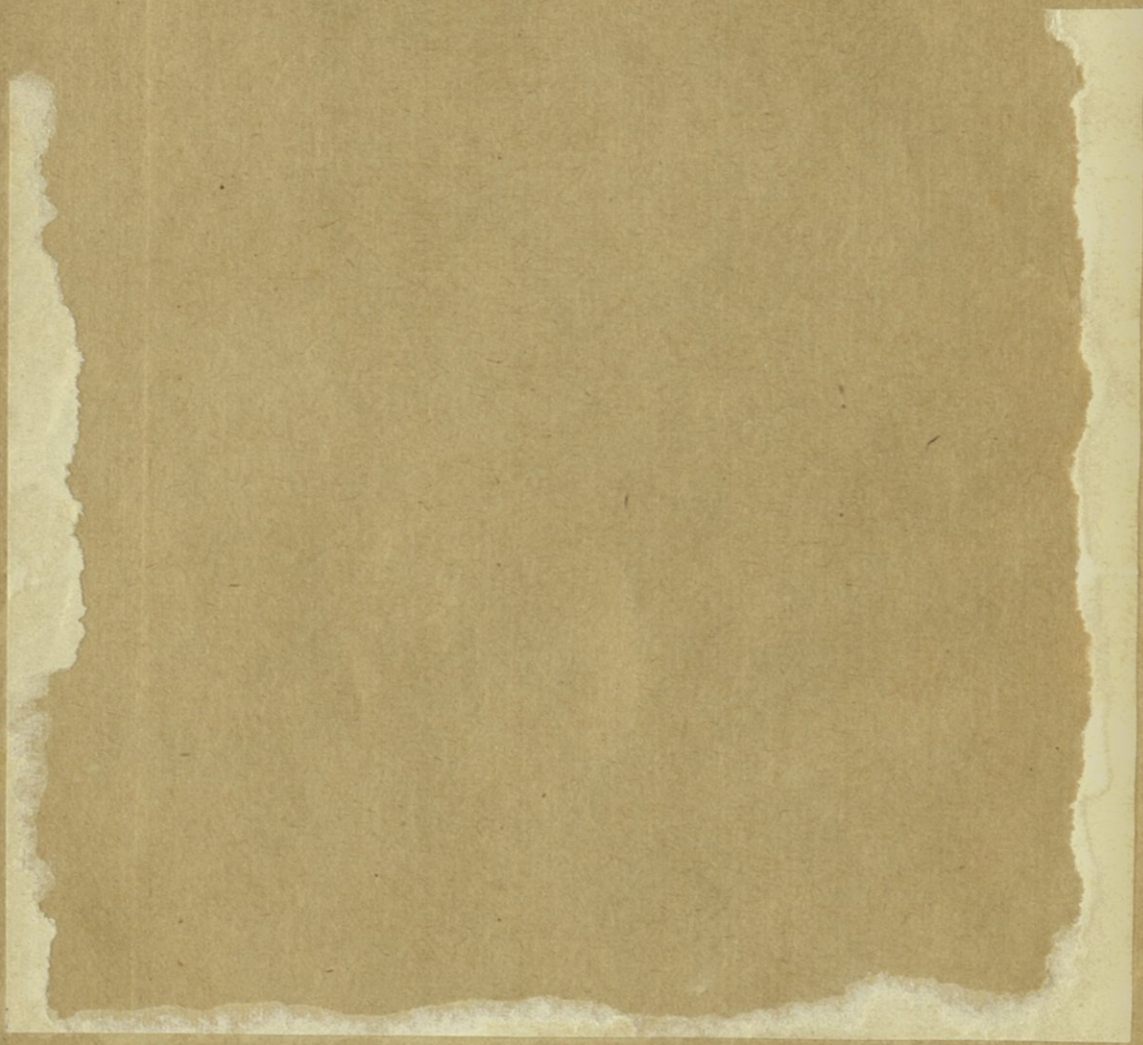
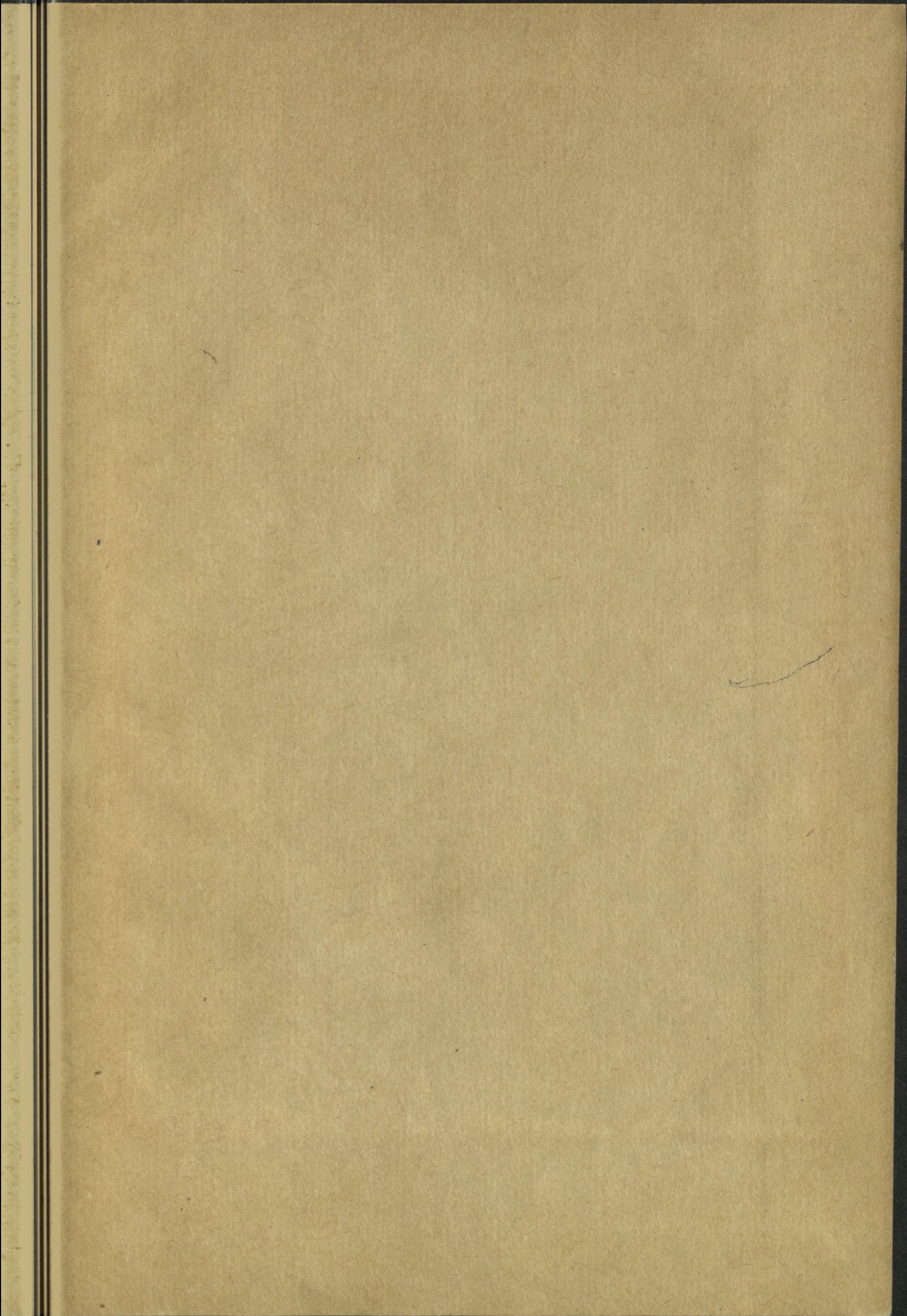
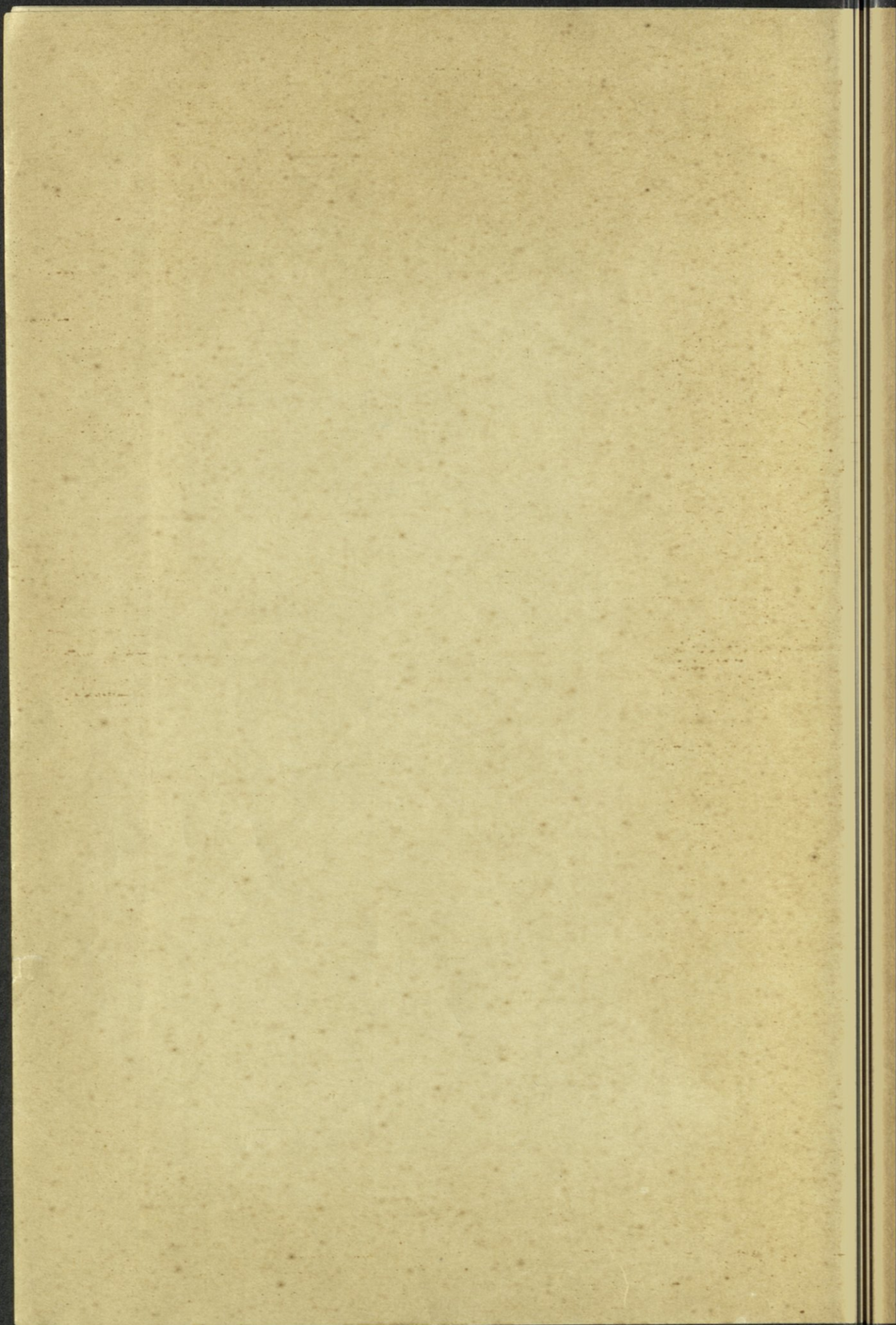
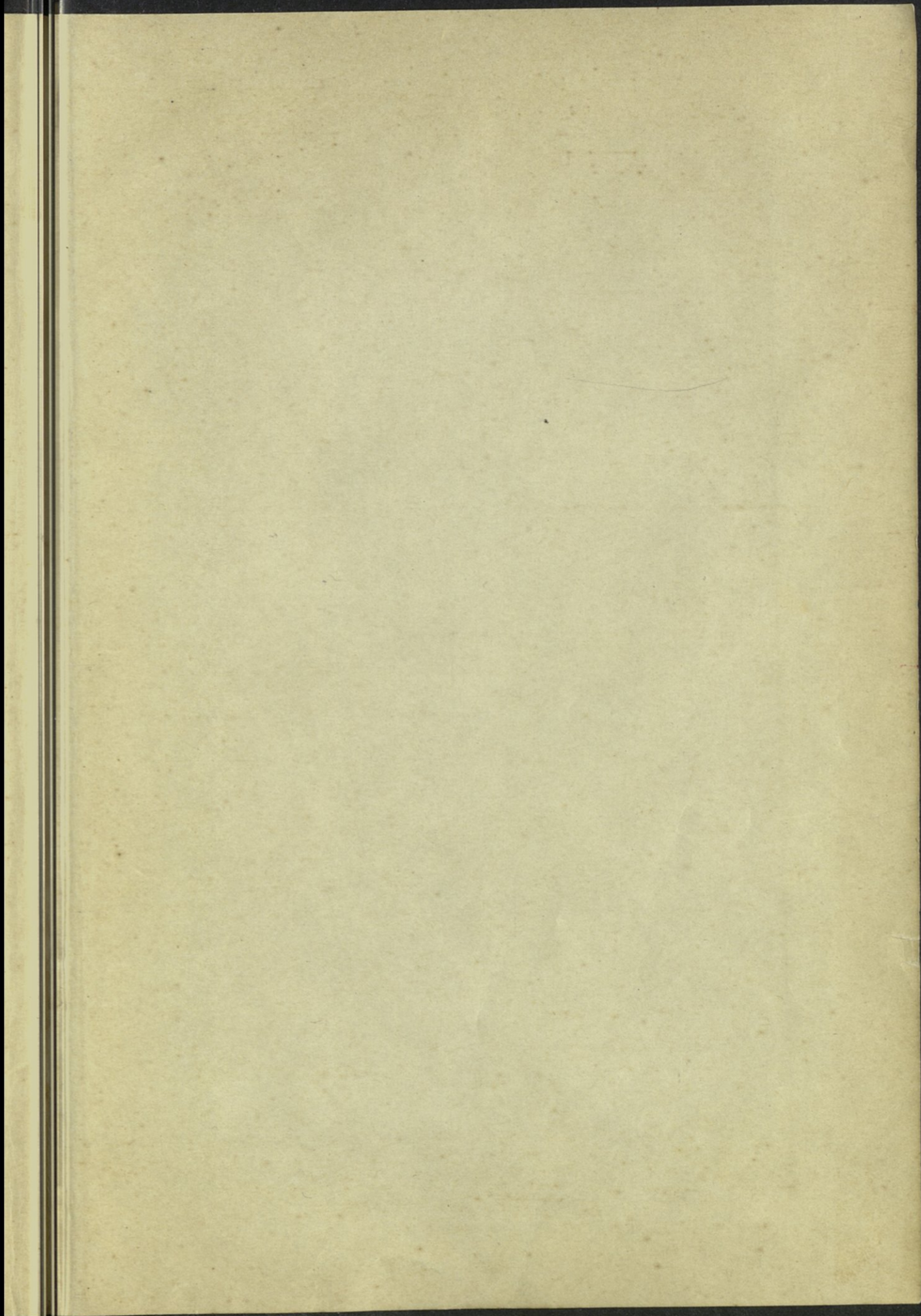


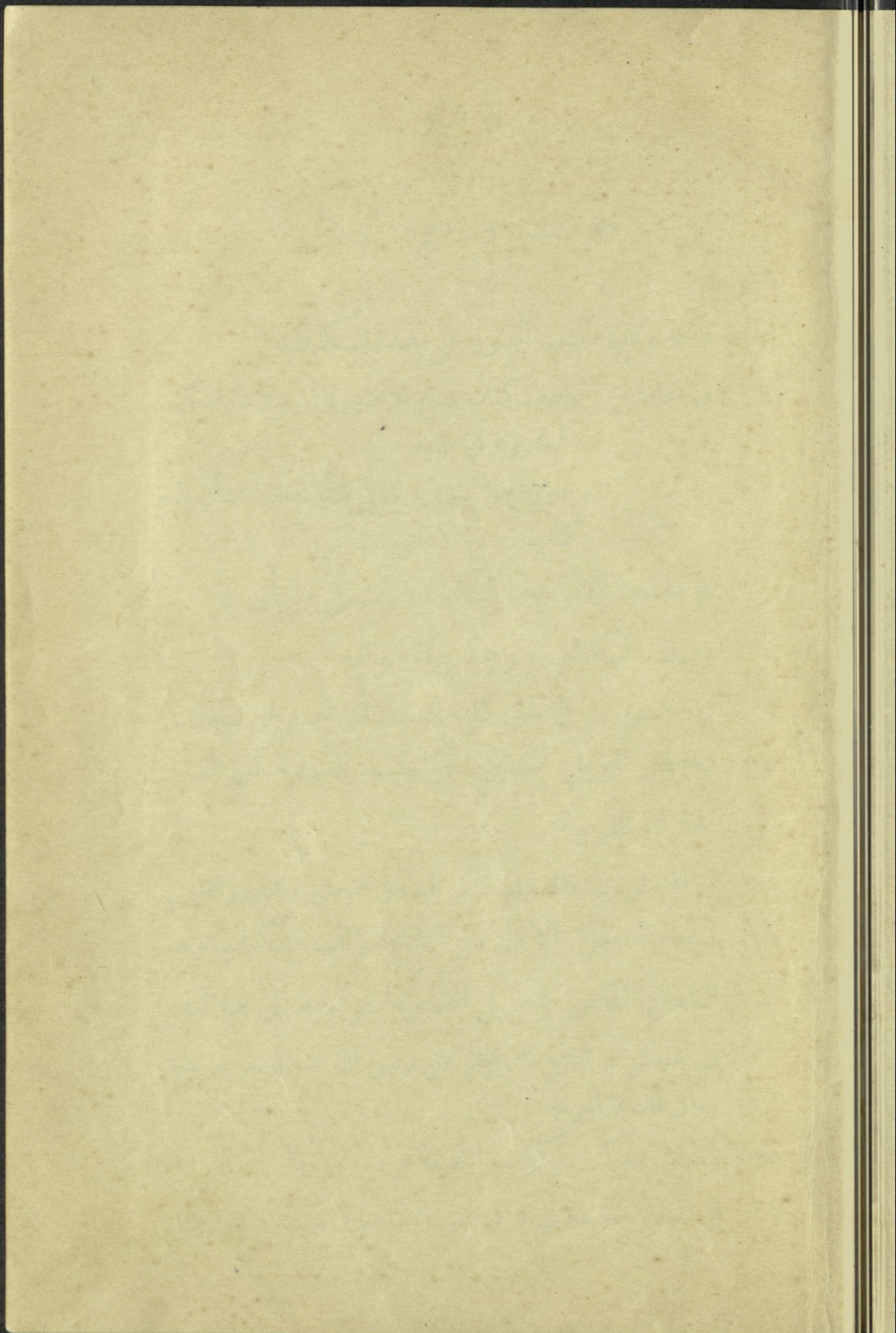
checked 1/2 0/25

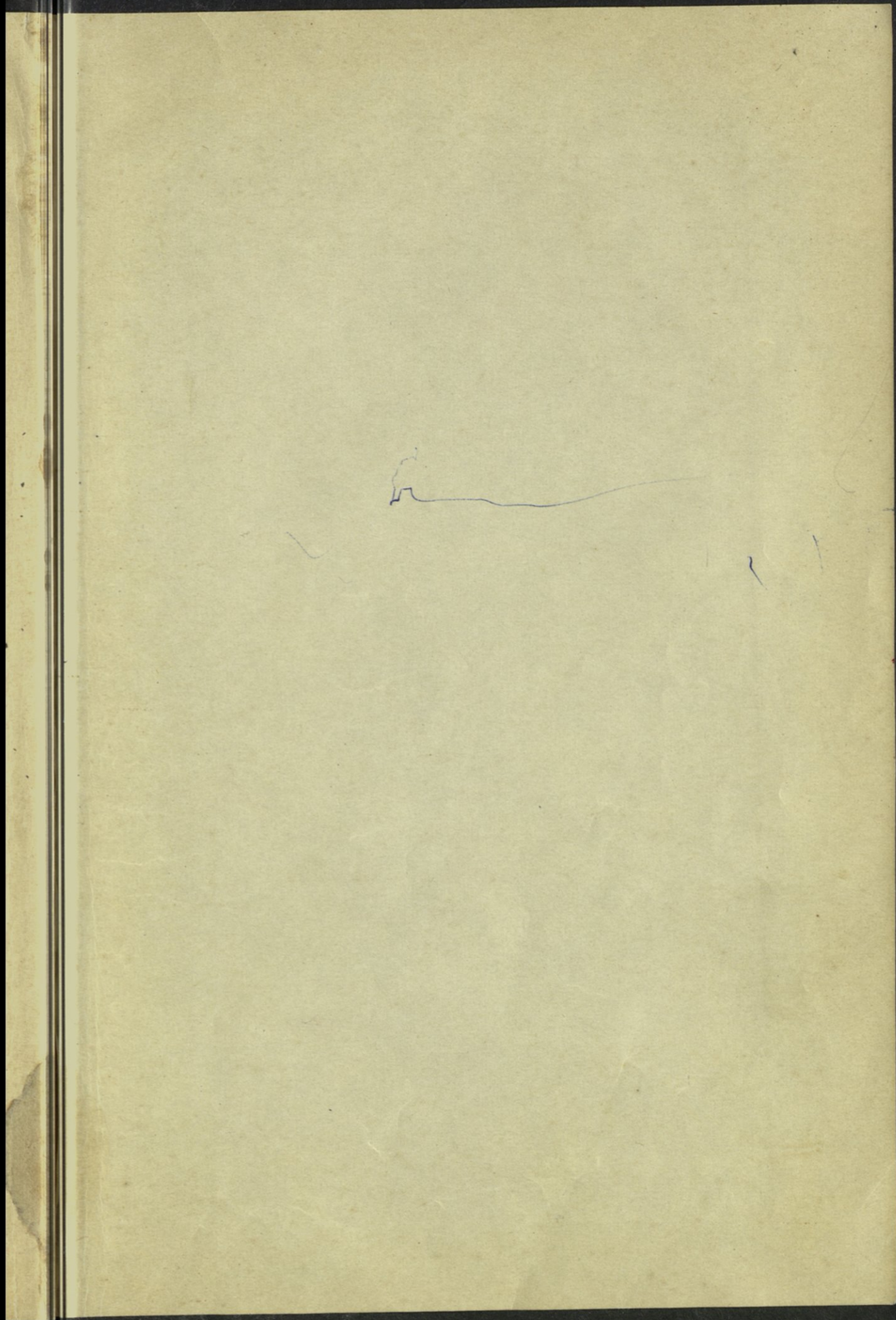












	الصفحة
فاتحة وفيها سبب العثور على هذا الكتاب	٣
في الهامش وصف كتاب صبح الاعشى وشروع دارالكتب الخدوية في طبعه	٤
صورة ما كتب به حفنى بك ناصف بشأن طبع كتاب صبح الاعشى المذكور	٥
﴿ مقدمة ناشر هذا الكتاب وتشمل ما يأتى ﴾	
وصف الكتاب وترجمة حياة مؤلفه	٧ -
في الهامش - في معنى كلمة السجل التي تجمع على سجلات	٨
ذكر تحويل السنين الخراجية القبطية الى السنين الهلالية العربية	١٥
في الهامش - فائدة في ذكر النيروز القبطى والنيروز الفارسى -	١٦
نسخة السجل الاول من انشاء مؤلف الكتاب وهو السجل الخاص بتحويل السنين الخراجية الى هلالية	١٨
في الهامش - تشيع الفواطم لعلى رضى الله عنه وضرب عنق رجل قال لا اعرفه	٢٠
وصف موكب ركوب الخليفة في موسم اول السنة	٢٥
في الهامش فائدة في ذكر معنى الصماصم والتتوت والعماريات	٢٦

٢٧ في الهامش - وصف تاج الخليفة وشكله وكيفية شده ووصف

المظلة التي تحمل على رأسه في المواكب

٢٨ - وصف لواءي الحمد والحافر يجعل في وجه فرس الخليفة

٢٩ - وصف دواة الخليفة

٢٩ - الاستاذون المحنكون وهم الطواشية وعوائدهم وما

معنى التحنيك

٣٠ - وصف القضيب الذي يمسك به الخليفة في المواكب

والتعريف بالمذبتين

٣١ - معنى كلمة اسفهلار

٣٢ - ما كان يكتب على الرايات ووصف العلمين المسميين

بالسبعين والتعريف بهما

٣٣ - ذكر نسخة السجل الخاص بالبشارة بركوب الخليفة

في أول السنة

٣٣ في الهامش فيمن يوجه اليهم خطاب التهاني من قبل الخليفة

على الترتيب

٣٦ - ذكر نسخة السجل الخاص بالبشارة بركوب الخليفة في

أول رمضان

٣٧ وصف ركوب الخليفة في أيام الجمع الثلاث الاخيرة من

شهر رمضان

﴿ ج ﴾

الصفحة

- ٣٩ في الهامش - ما عساه يكون أصلا في تلاوة الخطباء الآية الشريفة
(اذكروا الله يذكركم)
- ٣٩ - في من كان يصلي تحت عقد المنبر
- ٤٠ ذكر نسخة سجل الجمعة الثانية من شهر رمضان
- ٤١ » » » الثالثة » » »
- ٤٣ » » » الرابعة » » »
- ٤٥ وصف موكب الخليفة في يوم عيد الفطر
- ٤٥ في الهامش . لم يكن الخليفة على عهد أمير الجيوش وولده ليذهب
الى المصلى في موكبه
- ٤٦ - استعراض الخليفة للجنود في يوم العيد
- ٤٩ ذكر نسخة سجل البشارة بحلول عيد الفطر
- ٤٩ في الهامش . في معني لفظة خشكنان
- ٥١ في الهامش . صلاة المعز لدين الله يوم عيد الفطر
- ٥٢ ذكر نسخة أخرى من سجل البشارة بحلول عيد الفطر
مع اشتغال الدولة على وزير
- ٥٦ ذكر نسخة أخرى في معني ذلك مع خلو الدولة عن وزير
- ٥٧ في الهامش . وصف سماط عيد الفطر
- ٦٠ وصف ركوب الخليفة في عيد النحر
- ٦١ في الهامش . عدد ما ينحره الخليفة بنفسه في عيد النحر وما

- ينحره الجزائريون بين يديه
- ٦٢ ذكر نسخة سجل البشارة بركوب الخليفة في عيد النحر
- ٦٤ في الهامش . ذكر من يؤذن لهم بالدخول في مصلى العيد
- ٦٥ ذكر نسخة اخرى من سجل البشارة بركوب الخليفة
- في عيد النحر
- ٦٨ وصف ركوب الخليفة يوم قطع الخليج
- ٧٠ في الهامش . التعريف بالمقس وذكر مبدء تاريخ بولاق
- ٧١ وصف ركوب الخليفة لتخليق المقياس ويتلوه ركوبه لقطع الخليج
- ٧١ في الهامش . وصف الصيوان المعروف بالقاتول
- ٧٤ ذكر نسخة سجل البشارة بركوب الخليفة يوم قطع الخليج
- ٧٥ « « ثانية منه وثالثة منه
- ٧٦ « « رابعة منه
- ٧٧ الكلام على عيد النصر وسبب اتخاذه
- ٧٨ نسخة الكتاب الذي يبعث معه الى الخطباء صورة ما
يخطبون به في عيد النصر
- ٧٩ نسخة كتاب بعث به الى أحد وجوه الدولة بمناسبة
الخلع عليه بكسوة عيد الفطر

- ٨٠ في شيء من عوائد الفواطم
- ٨٠ في الهامش . اتخاذ الخلفاء للسراديب يتوصلون منها الى بعض
المنزهات
- ٨٢ - حمل الفواطم لاهل مصر على الدخول في مذهبهم
- ٨٣ - نسخة السجل الذي قرىء على المنابر في مدة الحاكم
بحرية المذاهب
- ٨٤ خطبة المعز لدين الله على شيوخ كتامة
- ٨٦ ﴿ خطبة المؤلف ﴾
- ٨٧ في الهامش . في ان الفواطم كانوا من غلاة الشيعة
- ٨٨ سبب تأليف الكتاب
- ٩٠ اهداء الكتاب للوزير ابي القاسم الافضل شاهنشاه
ابن أمير الجيوش
- ٩٠ في الهامش . ترجمة حياة الوزير شاهنشاه
- ٩١ ﴿ الغرض المقصود بهذا الكتاب ﴾
- ٩٢ في الهامش . الكلام على ديوان الانشاء وأول وضعه في الاسلام
ووظيفة متولييه وراتبه في عهد الفواطم
- ٩٣ المنفعة بكتاب قانون ديوان الرسائل
- ٩٤ الاحوال التي يجب ان يكون عليها رئيس ديوان الانشاء

- وما ينبغي ان يكون حاصله عليه من العلوم والمعارف —
- ٩٧ في الهامش . التعريف بداعى الدعاة وصورته العهد الذي يأخذه
الداعى على المدعو لينقله الى مذهب القواطم
- ١٠٠ - كتاب من بشر بن ابى كبار البلوى من كتاب
صنعاء يذم انسانا
- ١٠١ - كتاب اخر له في هذا المعنى
- ١٠٤ - ملكشاه السلجوقى ووزيره نظام الملك فى بعض
صيوده فى الصين
- ١٠٦ - النضر بن شميل النحوى والمأمون بن هارون
الرشيد (فائدة لغوية)
- ١٠٨ - فيما يختص متولى ديوان الرسائل بالنظر فيه من الاعمال
- ١٠٩ فى الهامش ما يكتبه الخليفة فى علاماته ومخاطباته
- ١١٠ - معنى المنشور والامان ونسخة من هذا الاخير
- ١١٦ ~~١١٦~~ فى من ينبغى ان يستخدم لتخريج الكتب الواردة
- ١١٨ - فى صفة من يجب ان يستخدم برسم الانشآت
- ١١٩ فى الهامش فى معنى كلمة التقليد التى تجمع على تقليدات
- ١٢٠ فى الهامش - ذكر الفضل بن العميسد وصورة ما كتب به عن
ركن الدولة بن بويه الى بلسكان ونداديدعود الى الطاعة
- ١٢٣ - - ابو اسحاق الصابى صاحب الرسائل المشهورة
وصورة كتاب له فى مثل المعنى المتقدم

١٢٦ في من ينبغي ان يستخدم في المكاتب عن الملك الى
الملوك المماثلين له والمخالقين للغة وملمته

١٣٠ في من ينبغي ان يستخدم لمكاتبه أمراء الدولة وكبرائها
١٣٠ في الهامش - ذكر الايمان التي يستحلف بها للمبايعة التامة ويتلوه
نسخة يمين أهل الاسلام

١٣٣ في من ينبغي ان يؤهل لكتب المناشير والكتب
اللطاف والنسخ

١٣٤ في من ينبغي ان يكون ناسخاً في ديوان الانشاء

١٣٤ في الهامش في ان الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً ويتلو ذلك
توقيع لعبدالله بن طاهر على رقعة خطها غير حسن واعتراض عليه

١٣٥ في من ينبغي ان يستخدم متصرفاً لما يكتب اعانة لمتولى الديوان

١٣٧ فيما ينبغي ان يوضع في هذا الديوان من الدفاتر والتذاكير

وصفة من ينبغي ان يعدق به ذلك

١٣٧ في الهامش . فائدة في ما يقابل لفظه دوسيه او ملف في اللغة العربية

١٤٢ في من ينبغي ان يستخدم خازناً في ديوان الانشاء وما
مقتضى خدمته

١٤٣ في الهامش . في معنى المشارف والضا من

١٤٧ فيما يختص بالتوقيعات

١٤٧	في الهامش . توقيع كاتب الانشاء عن المستنصر بمناسبة صرف مرتبات المرتزقين
١٤٨	توقيع آخر على استمارة صرف المرتبات في مدة الحافظ لدين الله
١٤٨	توقيع آخر للقائد جوهر على رقعة رفعت اليه
١٥٠	في التوقيعات في رقايع المظالم خاصة
١٥٠	في الهامش . كيف كان القوم ينظرون في المظالم
١٥١	قصة صاحب المعديفة والمساح وفيها بيان جباية الاموال
١٥٥	خاتمة الكتاب للمؤلف
١٥٧	خاتمة لناشر الكتاب فيما آل اليه امر الفواطم عند استبداد السلطان صلاح الدين بملك مصر
١٥٩	في الهامش وصف شيء مما حوته خزائن قصور الفواطم من التحف والطرف
١٦٢	ترجمة حياة الفقيه عمارة اليمنى عن ابن خلكان
١٦٤	قصيدة للفقيه عمارة اليمنى في رثاء اهل القصر
١٦٥	في الهامش وصف الميدان المسمى « بين القصرين » ووصف القصرين
١٦٦	» دار الضيافة ودار الفطرة
١٦٧	» خزائن الكسوة

808.6
I13RA
C.1

كتاب القائلين بالرسالة

لتاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان
الشهير بابن الصيرفي من رؤساء الكتاب
في عهد الدولة الفاطمية

منقول عن نسخة خطية بمكتبة كمبرتش تمت كتابة
في سنة ٥٩٧ هجرية

عني بنشره والتعليق عليه

عن محمد بن

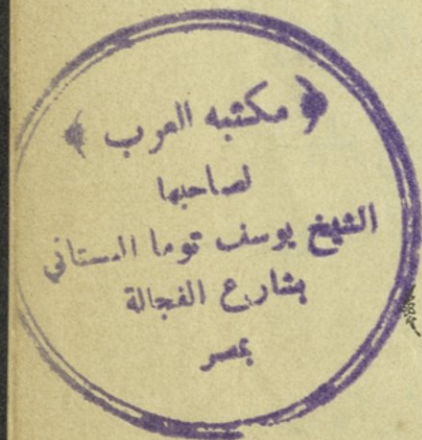
وكيل دار الآثار العربية
بالقاهرة المعزية

حقوق الطبع والترجمة محفوظة

(الطبعة الاولى)

57898

طبع بمطبعة الواعظ بمصر سنة ١٩٠٥



Cat. - Oct. - 1939



Faint handwritten text, likely a header or title, located in the upper middle section.

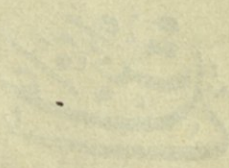
Second line of faint handwritten text below the header.

Third line of faint handwritten text.

Fourth line of faint handwritten text.

Fifth line of faint handwritten text.

Sixth line of faint handwritten text.

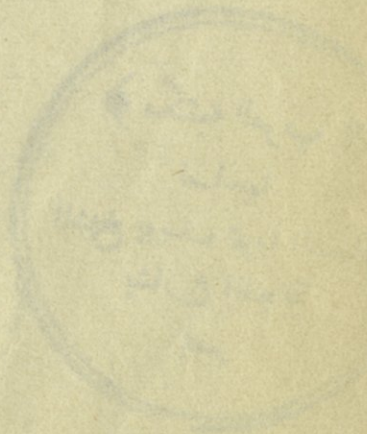


Seventh line of faint handwritten text.

Eighth line of faint handwritten text.

Ninth line of faint handwritten text.

Tenth line of faint handwritten text.



Eleventh line of faint handwritten text at the bottom of the page.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه استعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء
والمرسلين

وبعد فلما كنت قد اشتغلت منذ شرح الشباب بتعرف
الآثار سيما العربية منها لا تفاق اتصالي عقيب خروجي من
المدارس سنة ١٨٨٢ الافرنكية بجامعة العلماء الذين توفدهم
الحكومة الفرنسية للديار المصرية بغرض التنقيب عن آثارها
الفرعونية والاسلامية دبت في روح البحث في الاطلاع
الدارسة وتربت عندي ملكة التشوف لمعرفة تواريخ بنائها
وحياة بانيتها . لذلك كنت كثير الشغف بالكتب الباحثة في
مثل هذه الموضوعات

ولما ندبتى الحكومة المصرية في سنة ١٨٩٩ لان انوب
عنها مع العالم الفاضل الشيخ محمد شريف المفتش بنظارة
المعارف حالا في مؤتمر اللغات الشرقية الذي انعقد بمدينة

رومة عاصمة بلاد ايطاليا في النصف الاول من شهر اكتوبر
من تلك السنة وقع اختياري على كتاب « صبح الاعشى في صناعة
الانشاء » (١) فتخذته موضوع كلامي بحضرة جماعة المستشرقين

(١) هذا الكتاب الحافل وصفه السخاوي بقوله (جمع فأوعى)
يعنى أنه جمع ضروب الانشاء والمكاتب قديمها وحديثها وقنون القوانين
والنظامات متقدمها ومتأخرها وطرفاً صالحاً من التاريخ بعيده وقريبه
وشطراً من تخطيط الارض عجيبه وغريبه ونصيياً وافراً من الآثار
قائمها وبائدها وجانباً من الاخلاق والمادات طاهرها وفاسدها

اقول ان هذا الكتاب الذي شمل هذه الفوائد الفرائد عن مصر
وما كان يلحق بها من البلاد تارة وينفصل أخرى كالأقطار الحجازية
واليمنية والاصقاع الشامية والعراقية وما يصاقبها من الممالك الهندية
والتيرية والبلدان التركية والفارسية والذي فرغ مؤلفه شهاب الدين
احمد بن علي بن احمد القلقشندي من تأليفه في سنة ٨١٤ الهجرية
والذي نشرت في موضوعه في مجلة (الموسوعات) فصلاً ضمنته ما ذكرته
عنه في مؤتمر المستشرقين قد شرعت دار الكتب الخديوية في طبعه منذ
اكثر من سنتين بعد ان حصلت على الاجزاء الثلاثة الناقصة التي كانت
محفوظة في مكتبة اكسفورد من بلاد الانكليز • وانه والحق يقال لعمل
تشكر عليه دار الكتب الخديوية كل الشكر ولكن هناك أمراً تنكره
عليها وهو عدم تجاوز عدد النسخ التي تطبعها منه ثلثمائة نسخة مع انها
انفقت في أخذ صور الثلاثة الاجزاء المذكورة سبعمائة وخمسين جنبها
ولا تكاد تنقص نفقات طبع الكتاب باكماله عن الف جنيه • ومن ثم

لاشتماله على اغراض شتى يهيمهم الوقوف عليها
وبعد ان نقلت من الاربعة الأجزاء المحفوظة منه بدار

يكون ثمن النسخة منه نحواً من ستة جنيهات لو سمح ببيعها بأصل
نققاتها وهو ثمن لا يقدم عليه الا ذوو اليسار من محبي الكتب وهم
قليلون • على انها لو طبعت الف نسخة لما كلفها ذلك عدا ثمن الورق
الا القليل • ولو فرض ان ثمن الورق يبلغ على اكبر تقدير ٢٧٠ جنيهاً
لما زاد ثمن النسخة عن جنيهين اثنين • وبديهي ان القادرين على اقتنائه
بمبلغ جنيهين اكثر بكثير من القادرين على شرائه بستة جنيهات • هذا
وقد جاءني من رافع منار الادب حضرة المفضل حفي بك ناصف في
هذا المعنى الكتاب الآتي

مصر في ٩ فبراير سنة ١٩٠٥

علمت ان دار الكتب عازمة على طبع (صبح الاعشى) فسرني
ذلك كما سر فريق الادباء والمؤرخين ولاشك ان ذلك احياء لعلم الانشاء
ولكني سمعت ان عدد ما يراد طبعه ٣٠٠ نسخة وهذا قليل
جداً في جنب طلاب الادب والانشاء فاذا كانت دار الكتب في شك
من اقبال الناس فلتنشر اعلاناً تطلب فيه من الناس بيان من يريد
الاشترك ولاشك ان أقل عدد لا ينقص عن الف فخبذا لو أشزت على
من بيده أمر ذلك ان يكثر عدد النسخ حتى يكون الكتاب أرخص
ثمناً وأسهل تناولا للطلاب والسلام

أخوكم

حفي ناصف

فلما قرأت كتابه هذا قلت (سبق السيف العذل)

الكتب الخديوية ومن كتاب المسالك لابن فضل الله العمري وغيرهما ما يهيم في بحثي سافرت الى الديار الاوروبية قبل ميعة انعقاد المؤتمر بنحو شهرين حتى أستوفي البحث في الاجزاء الثلاثة الاخرى المحفوظة بمكتبة مدينة اكسفورد من بلاد الانكليز فخرجت في الطريق على مدينة باريس وتزودت من دار كتبها بما شاء الله ان اجمع من التقييدات المفيدة

بعد ذلك سافرت الى بلاد الانكليز وقصدت مدينة كبريتش حيث كان ينتظرنى فيها بعض الاصدقاء من المصريين ولما وصلتها تعارفت بالاستاذ براون المستشرق الشهير على يد ذلك الصديق فسهت امامي سبل البحث في مكتبتها بمعونه جزاه الله عن العلم والعلماء خيراً اذ كان يستعير الكتاب الذى اطلبه ويسمح لي ان انقله في غرفته في الاوقات التى تكون فيها قاعات المكتبة مغلقة

وبينما كنت اتصفح فهرس هذه المكتبة التى ليست من كبريات مكتبات اوروبا استوقف نظري عنوان كتاب طلبته على الفور واخذت في تلاوته فشاقنى ابوابه وراقنى موضوعه فنقلته بحروفه . وبعد الفراغ من النقل قابلت المنقول على الاصل

لاني عقدت النية على طبعه يوماً ما
ولما أذن الله وصدق نيتي وحقق امنيتي بنشر هذا
الكتاب رأيت ان أقدم عليه مقدمة في وصفه وشي من
ترجمة حياة مؤلفه وبعض الرسائل من انشائه ثم اعلق على
الكتاب نفسه من التعليقات ما عساه يوضح غامض تعبيراته
ويفتح مغلق الفاظه واصطلاحاته

﴿ مقدمة ﴾

اما الكتاب وأقول بالحرى الكتيب ، لانه لا يحتوي
على اكثر من اثنتين وسبعين صفحة في القطع الصغير عدد
سطور كل صفحة منها ثلاثة عشر سطرا ، فعنوانه « قانون
ديوان الرسائل » ألفه كما قال في مقدمته صاحبه « لأن يكون
دستوراً يتبع في اختيار من يؤهل للتوظيف في ديوان الرسائل
رئيساً كان او مرؤساً ، وان يخلد كتابه في الديوان ليقتدى به
الموظفون ويؤخذوا بالقراءة فيه وتدبره . لانه لهم كالمعلم ،
ولأخلاقهم كالمهذب . وقسمه الى مقدمة ، وفصول ، وخاتمة » .
وقدمه الى الوزير ابي القسم المنعوت بالافضل شاهنشاه ابن

أمير الجيوش . وهو مكتوب بخط جميل مما يطلق عليه اسم
« الخط الأيوبي » نسبة للدولة الأيوبية ، وهو بين قاعدتي
الثلث والنسخ ، وقد اتم الكاتب نقله عن أصله في أواخر القرن
السادس الهجري حيث كتب في آخره ما نصه :

« وقع الفراغ منه صبيحة يوم الاثنين السادس عشر من
ذي الحجة سنة سبع وتسعين وخمسة »

وأما مؤلف الكتاب ، واسمه أبو القاسم علي بن منجب
ابن سليمان المعروف بابن الصيرفي ، فلم اعثر له على ترجمة في
مظان وجودها في اي كتاب من كتب التراجم كالوفيات
لابن خلكان ، وشذرات الذهب والطالع السعيد للأدقوي
وغيرها وان كنت قد صادفت اسمه عرضاً في الاول منها
وقرأت في غير موضع من المقرئ وفي صبح الاعشى من
انشائه سجلات شتى (١) لمناسبات عديدة اذ كر بعضها فيما يأتي
ولقد خطرت لي اثناء بحثي ففكرة كنت كلما ابعثها

(١) السجلات كانت تطلق في عهد الفواطم على المكاتبات التي
يبعث بها من ديوان الانشاء الى الاعمال بمصر والاقطار التابعة لها لا بلاغ
حادثة من الحوادث التي تختص بالخليفة كركوبه في الاعياد والمواسم

تدنو وكلما حاولت قهرها تنقلب على ان أعياني الامر
فكاشفت بها بعض الخلان فلم يستنكرها. وهي ان دولة الفواطم
لما كانت دعوية في الخلافة لم يحفل بشأن كتابها ومشاهير
رجالها ارباب كتب التراجم ان لم يكونوا قد اغفلوا ذكرهم
قصدا. ومرجع ذلك الى السلطان صلاح الدين فانه كان هو
وقاضيه على مذهب ابي الحسن الاشعري مذ كانا بدمشق في
خدمة السلطان محمود بن زنكي. ولذلك لما استبد بملك مصر
عقد الخناصر على نشر مذهب الاشعري وحمل الناس على
التزامه. قال المقرئزي: «فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد
صلاح الدين ابطال مذهب الشيعة من ديار مصر واقام بها
مذهب الامام الشافعي ومذهب الامام مالك فبنى لسكل من
الطائفتين المدارس ثم اقتدى به في بنائها بالقاهرة ومصر
وغيرهما من اعمال مصر والشام والجزيرة اولاده وامراؤه
ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وامرأهم
واتباعهم»

وليس بالغريب اذن ان يهمل مؤلفو كتب التراجم ذكر
رجال الدولة الفاطمية حقداً عليهم اذ دين ملوكهم

فلما وافقني صاحبي على هذه الفكرة قلت احب منك
برهانا قاطعاً ودليلاً ساطعاً. فقال خدمتلا تاريخ الخلفاء للسيوطي
واقراً مقدمته تجد فيها طلبتك فتناولت الكتاب واذا به يقول:
«... ولم اورد احداً ممن ادعى الخلافة خروجاً ولم يتم
له الامر ككثير من العلويين وقليل من العباسيين. ولم اورد
احداً من «الخلفاء العبيديين» لان امامتهم غير صحيحة لا مور
منها انهم غير قرشيين، وانما سميتهم بالفاطميين العوام. واللاجدم
مجوسى. وقال القاضي عبد الجبار البصري: اسم جد الخلفاء
المصريين سعيد وكان يهودياً حداداً.....»

« وكتب العزيز بالله الفاطمى الى الأُموي صاحب
الاندلس كتاباً سبه فيه وهجاه. فكتب اليه الأُموي: اما
بعد فانك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك. يعنى انه دعى
لا تعرف قبيلته. فاشتد ذلك على العزيز فأخمه عن الجواب.»
« وما احسن جواب المعز صاحب القاهرة وقد سأله
ابن طباطبا العلوى عن نسبهم فحذب نصف سيفه من الغمد
وقال: «هذا نسبي!» وثر على الامراء والحاضرين الذهب
وقال: «هذا حسبي!» الى ان قال (السيوطي) فلهذه الامور لم

اذكر احداً من العبيدين ولا غيرهم من الخوارج وانما اذكر
الخليفة المتفق علي صحة امامته وعقد بيعته» اهـ

فاذا كان السيوطي قد اغفل ذكر خلفائهم عمداً فكيف
يذكر هو أو أمثاله من اهل السنة كتاب الفواطم الذين
يروجون دعوتهم كما استراه قريباً في مكاتبات ابن الصيرفي
واذ ظهر مما تقدم ان بذل الجهد في العثور على ترجمة
حياة الرجل ضرب من العبث فلذلك نسعي في ان نترجم له
ما أمكن مستعينين بكتب المقريزي والقلقشندي وابن خلكان
راجعين معهم الى أقدم عهد أتوا فيه علي ذكره ثم نسلسل
البحث عنه على توالي السنين

قال المقريزي بمناسبة جامع القبيلة : « وهذا الجامع بناه
الافضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي في شعبان
سنة ٤٧٨ . ولما كمل بناؤه اقام في خطابته الشريف الزكي
أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن علي الحسيني
الافطسي النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسي . فلما رقي المنبر
اول خطبة اقيمت في هذا الجامع قال : بسم الله الحمد لله . . . وأرتج
عليه فلم يدر ما يقول . وكان هناك الشيخ ابو القاسم علي بن منجب

ابن الصيرفي الكاتب، وولده مختص الدولة أبو المجد، وأبو عبد الله
ابن بركات النحوي، ووجوه الدولة. فلما أُضجر من حضر نزل
عن المنبر وقد حمّ فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف
إلى داره « اه

ومن هذه العبارة يؤخذ أن الشيخ أبا القاسم علي بن
منجب كان في سنة ٤٧٨ أو بعدها بقليل من وجوه الدولة الذين
يدعون لحضور الحفلات، وأنه كان له إذ ذاك ولد تجاوز سن
البلوغ بدليل تكنيته «بأبي المجد» وتلقبه بلقب «مختص الدولة»
وقال أيضاً في مقام الترجمة للأمر بأحكام الله: «وكتاب
إنشائه سنا الملك أبو محمد الزبيدي الحسني، والشيخ أبو الحسن
ابن أبي اسامة، وتاج الرياسة أبو القاسم بن الصيرفي، وابن أبي
الدم اليهودي» اه

واليك مقاله التلقشندي في الفصل الثاني من الباب
الرابع من مقدمة كتابه «ضوء الصبح» وهو الذي لخصه بنفسه
من صبح الأعشى، عند الكلام على ديوان الإنشاء بعد أن
تكلم على أصل وضعه في الإسلام قال:
«ثم كانت الدولة الفاطمية فعظم أمر ديوان الإنشاء بها

(بمصر) ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب له. وولى ديوان الأنشاء عنهم جماعة من افاضل الكتاب وبلغاهم ما بين مسلم وذمي. فكتب للعزير بالله ابن المعز المنصور ابن سوريدين النصراني، ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات في ايامه. فكتب للحاكم القاضي ابو الطاهر البهركي. ثم كتب بعده لابنه الظافر. وكتب للمستنصر القاضي ولى الدين بن خيران، ثم ولى الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله الى الوزارة. وابو سعيد العميدى. وكتب للامر والحافظ الاجل ابو الحسن علي بن ابي اسامة الحلبي الى أن توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فكتب له بعده ولده ابو المكارم الى أن توفى في ايام الحافظ. وكان يكتب بين يديهما الشيخ الامين تاج الرياسة ابو القاسم علي بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصيرفي، والقاضي كافي الكفاة محمود بن القاضي الموفق أسعد بن قادوس وابن ابي الدم اليهودي. ثم كتب بعد ابي المكارم القاضي الموفق ابن الخلال أيام الحافظ الى آخر ايام العاضد آخر خلفاهم «اه وليس في تعبير القلقشندى عن المترجم بالكتابة بين يديهما (ابو الحسن علي بن أسامة وولده ابو المكارم) ما ينافي

رياسته. اذ يكفي في نقضه تلقيبه اياه بتاج الرياسة. وفضلا عن ذلك فان القلقشندي وان نقل عن ابن الصيرفي دون من ذكرهم من رؤساء ديوان الانشاء الكثير من السجلات معزواً اليه الا انه وهم عند نقل الفصول الكاملة من قانون ديوان الرسائل بالحرف فعزاها الى أبي الفضل الصوري الذي لم اهتد الى معرفة شيء عنه

واليك ما جاء عرضاً في كتاب الوفيات لابن خلكان عن المترجم بمناسبة ترجمة حياة يعقوب بن كلس وزير المعز لدين الله قال: «وذكره (اي ذكر يعقوب بن كلس) ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي المصري في جزء سماه «الاشارة الى من نال الوزارة» وذكر فيه وزراء الفاطميين الى عصره وابتدأ بذكر يعقوب المذكور» اه وهذه الجملة على قصرها افادتنا فائدتين: ان المترجم كان مصرياً، وان له تأليفاً آخر خاصاً بتراجم وزراء الدولة من اولها الى عهده

ويستخلص من كل ذلك ان ابن الصيرفي كان مصرياً؛ وانه لما اتصل بديوان الرسائل على ايام الامر باحكام الله

سنة ٤٩٥ كان يناهز الخمسين من عمره؛ وانه بقي يعمل في هذا
الديوان نحواً من اربعين سنة بدليل السجلات الآتية المتباينة
التواريخ المحرر آخرها في سنة ٥٣٦ عن لسان الخليفة الحافظ
لدين الله، وعلى ذلك يكون قد عمر ما يربو على تسعين سنة؛ وانه
كان له ولد يكنى بأبي المجد ويلقب بمختص الدولة؛ وأنه الف
غير قانون ديوان الرسائل كتاباً آخر سماه «الاشارة الى من نال
الوزارة» أتى فيه على تاريخ وزراء القواطم من عهد اولهم
يعقوب بن كلس الي وقته

هذا ما امكنتى استنباطه من كتب التراجم وغيرها التي
راجعتها. واني مورد الآن السجلات من قلم صاحب الترجمة
وفاء بالوعد اذ منها تعلم مقدرته على التحرير في موضوعات
متعددة وعلى الخصوص اقتداره على الوصف واول سجل
عثرنا عليه من انشائه كتبه في سنة ٤٩٧ الهجرية وهذا السجل
ذكره المقرئى بمناسبة تحويل السنة الخراجية القبطية الى
السنة الهلالية العربية حتى توافق مواعيد استخراج الضرائب
وجباية الاموال ابان ادراك الغلات والثمار

قال المقرئى لما جاء الله بالاسلام تحرز المسلمون من

كبس السنين خشية الوقوع في النسيء الذي قال الله سبحانه
وتعالى فيه «انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا»
ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية في السنين الشمسية اسقطوا
عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سنة وسموا ذلك
الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتين وثلاثين
سنة شمسية بالتقريب. واول ازدلاق وقع في الاسلام على
عهد المتوكل العباسي سنة ٢٤٢ الهجرية. والثاني في أيام المعتضد
سنة ٢٧٨

ولما كانت قصة هذين الازدلاقين قد حكها المقرزي
في مقام واحد احببنا ايرادها ليزداد بها الموضوع وضوحاً قال
«حكي أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال كنت
احدث امير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل في تأخير
النوروز (١) فاستحسنه وقال لي كيف كان ذلك قلت حدثني ابي

(١) النوروز القبطي يقع اول يوم من توت الذي هو اول شهر
السنة القبطية. قال المقرزي وكان النوروز القبطي في ايام الفواطم من
جملة المواسم تتعطل فيه الاسواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات
وتفرق فيه البكسوة لرجال اهل الدول ونسائهم والرسوم من المال
وحوائج النوروز. والنوروز القبطي غير النوروز الفارسي

قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بساتينه الخاصة
التي كانت في يدي وهو متوكيء على يحدثنى وينظر الى ما
أحدث في ذلك البستان فمرّ بزراع فرآه أخضر فقال: يا علي ان
الزراع أخضر وما ادرك بعد، وقد استأمرني عبيد الله بن يحيى
في استفتاح الخراج. فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج في
النوروز والزراع لم يدرك؛ فقال له ليس يجرى الأمر اليوم
على ما كان يجرى عليه أيام الفرس، ولا النوروز في هذه الأيام
في وقته الذي كان في أيامها. قال وكيف ذلك فقلت لأنها كانت
تكبس في كل مائة وعشرين سنة شهراً. وكان النوروز اذا تقدم
شهراً وصار في خمس من حزيران كبست ذلك الشهر، فصار
في خمس من ايار وأسقطت شهراً وردته الى خمس من حزيران،
فكان لا يتجاوز هذا. ولكن لما امتنع المسلمون من الكبس
صار يقع في نيسان والزراع أخضر. فقال له المتوكل: فاعمل لهذا
عملاً ترد النوروز فيه الى وقته. قال فرجعت وحررت الحساب
وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر ان يستفتح الخراج في
خمس من حزيران، وان ينشأ كتاب عن أمير المؤمنين في ذلك
تنفذ نسخته الى النواحي

نوروز
٥ حزيران

قال ابو أحمد: فلما سمع مني المعتضد هذه القصة قال هذا والله فعل حسن وينبغي ان يعمل به . فقلت ما احد أولى بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا امير المؤمنين . فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له: اسمع من يحيي ما يخبرك به وامض الامر في استفتاح الخراج عليه اه

وقال في موضع آخر عن القاضي ابى الحسن : وقد كان النقل أغفل في الديار المصرية حتي كانت سنة ٤٩٩ الهلالية تجري على سنة ٤٩٧ الخراجية فنقلت سنة ٤٩٧ الي سنة ٥٠١ وقال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة ٥٠١ : واول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الي العربية ، وكان قد حصل بينهما تفاوت اربع سنين . فتحدث القائد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطائي مع الافضل امير الجيوش في ذلك فاجاب اليه وخرج امره الي الشيخ ابى القاسم بن الصيرفي بانشاء سجل فانشأ ما نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي ارتضى أمير المؤمنين امينه في ارضه وخليفته ، وألهمه ان يعم بحسن التدبير عبيده وخليفته ، وأورثه مقام آباءه الراشدين الذين اختصهم بشرف

المفخر، وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة في المحشر، وعناهم
 بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وأعلى منار سلطانه
 بمدبر افلاك دولته، ومبيد اعداء مملكته، واشرف من نصب
 للجند علماً ورايه، ووقف علي مصلحة البرية نظره ورايه، السيد
 الاجل الافضل (١) الذي نبه في السياسة على ما اهمله من سبقه
 واغفله من تقدمه، وتتبع احوال المملكة فلم يدع مشكلاً الا
 اوضحه وبين الواجب فيه، ولا خلا الا اصلحه وبادر بتلافيه،
 ايثارا لعمارة الاعمال، وقصدا لما يقضى بتوفير الاموال، واعتناء
 برجال الدولة العلوية واجنادها، واهتماما بمصالحهم التي ضعفت
 قواهم عن ارتيادها، ورعاية لمن ضمنته اقطار المملكة من الرعايا،
 وحملا لهم علي اعدل السنن وافضل القضايا * يحمده امير المؤمنين
 علي ما اعانه عليه من حسن النظر للائمة، وادخره لآيامه من
 الفضائل التي ضفت بها ملابس النعمة. ويرغب اليه بالصلاة
 علي محمد الذي ميزه بالحكمة وفصل الخطاب، وبين به ما استبهم
 من سبل الصواب، وانزل عليه في محكم الكتاب: هو الذي
 جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين

(١) هو الافضل شاهنشاہ بن امير الجيوش

والحساب . صلى الله عليه وعلى اخيه وابن عمه امير المؤمنين
 على بن ابي طالب كافيهِ فيما اعضل لما عدم المساعد (١) وواقبه
 بنفسه لما تخاذل الكف والساعد ، وعلى الأئمة من ذريتهما العاملين
 برضا الله تعالى فيما يقولون ويفعلون ، والذين يهدون بالحق وبه
 يعدلون * وان أولى ما أولاه امير المؤمنين حظاً وافيّاً من تفقده ،
 وأسهم له جزءاً من كريم تعهده ، امرُ الاموال التي يستعان
 بها على سد الخلل ، وبرجائها يستدفع ما يطرق من الحوادث الجلل ،
 وبوفورها تستثبت شئون المملكة وتستقيم احوال الدول ،
 وباستخراجها على حكم العدل تكون العمارة التي هي اصل

(١) كان الفواطم يتشيعون لعلي رضه حتى يقال انه لما دخل المعز
 لدين الله الى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر في رمضان
 سنة ٣٦٢ فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر (خير الناس بعد رسول
 الله صلعم امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام) قال المقرزي وفي
 جمادي الاولى سنة ٣٩١ قبض على رجل من اهل الشام سئل عن امير
 المؤمنين على بن ابي طالب فقال لا اعرفه فاعتقله قاضي الحاكم بأمر الله
 وبعث اليه وهو في السجن اربعة من الشهود وسألوه فآقر بالنبي صلعم وانه
 نبى مرسل وسئل عن على بن ابي طالب فقال لا اعرفه فأمر قائد القواد
 الحسين بن جوهر بأحضاره فخلاه ورفق في القول معه فلم يرجع عن
 انكاره معرفة على بن ابي طالب فطولع الحاكم بأمره فأمر بضرب عنقه
 وضرب عنقه وصاب

زيادتها
 أحدهم
 ولا
 يشترك
 في الع
 تضبط
 الهلالي
 ومصاد
 في ايض
 الأفض
 سيفه
 مذلا
 والار
 والخاص
 لهم فيما
 فيما يؤ
 أيام ال

زيادتها، ومادة كثرتها وغزارتها، ولما كانت جباياتها على حكمين
أحدهما يجيء هلاليا وذلك مالا يدخله عارض ولا اشكال
ولا ابهام، ولا يحتاج فيه الى ايضاح ولا افهام لان شهور الهلال
يشارك في معرفتها الامير والمقصر، ويستوى في الفهم بها المتقدم
في العلم والمتأخر، والآخر يجيء خراجيا لان سنته
تضبط اوقات النيل المبارك والزراعة دون السنة
الهلالية ولا يستقل بمعرفته الا من باشره، وعرف موارده
ومصادره، فوجب ان يقصر على السنة الخراجية النظر، ويعتمد
في ايضاح امرها، ليكون ذلك شاهداً لمساعي السيد الأجل
الأفضل الذي لا يزال ساهراً ليله في حياطة الهاجعين شاهراً
سيفه في حماية الوادعين، مطلعاً للدولة بدور السعادة وشموسها،
مذللها لصعب الحوادث وشموسها، وهذا حين التبصير
والارشاد، وأوان التبيين للغرض والمراد، لتساوى العامة
والخاصة في عامه، وتسعيهم الفائد في معرفة حكمه، وتحقق المنفعة
لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها، وتتيقن المعدلة عليهم
فيما يؤمن من المضار التي يحتاج الى استدراكها* ومعلوم ان
أيام السنة الخراجية وهي السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية

لأن أيام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر النسيء
 ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربيع يوم، وأيام السنة الهلالية
 لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلاثمائة وأربعة وخمسون
 يوماً. والخلاف في كل سنة بالتقريب احد عشر يوماً، وفي كل
 ثلاث وثلاثين سنة: سنة واحدة على حكم التقريب. فاذا اتفق
 ان يكون اول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت
 نسبتها واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما، وبقي ذلك جاريا
 عليهما، ولم يزا الا متداخلين لكون مدخل الخراجية في اثناء
 شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة. فاذا انقضت
 هذه المدة بطلت المداخلة وختت السنة الهلالية من نوروز
 يكون فيها، وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية. ويكون التفاوت
 سنة واحدة للعلة المقدم ذكرها. ومن اين يستمر بينهما اختلاف،
 أو يعدم لهما اختلاف؟ أم كيف يعتقد ذلك احد من البشر
 والله تعالى يقول «لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر»؟ فقد وضح
 دليل التباعد بما جاء منصوصاً في الكتاب، وظهر برهانه بما
 اقتضاه موجب الحساب. فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة
 الشمسية الى التي تليها لتكون موافقة للهلالية وجارية معها*

وفائدة النقل ان لا تخلو السنة الهلالية من مال خاص ينسب
الى السنة الموافقة لها. لأن واجبات العسكرية على عظمها واتساعها،
وارزاق المرتزقة على اختلاف اجناسها واوزاعها، جارية على أحكام
الهلالية غير معدول بها عن ذلك في حال من الاحوال. والمحافظة
علي ثمره ارتفاعها متعينة، ومنفعة العناية بما تجري عليه واضحة مبينة *
ولما اهلت سنة احدى وخمسمائة ودخلت فيها سنة تسع وتسعين
واربعمائة الخراجية الموافقة لسنة احدى وخمسمائة الهلالية كان
في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال
النقل فيما تقدم مناصرات السنة الهلالية الحاضرة لا يجبي خراج
ما يوافقها فيها، ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا في
السنة التي تليها، فهي تسهل وتنقضي وليس لها في الخراجي
ارتفاع، والاعمال تطيف بالزراعة ولا حظ لها في ذلك ولا ارتفاع،
وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خافية، والاذية فيها
للرجال المقطعين بادية، واسباب لحوقها ايام مستمرة متمادية،
ولا سيما من وقع له باثبات، وأنعم عليه بزيادات، فانهم يتعجلون
الاستقبال، ويتأجلون الاستغلال، ومتي لم تنقل هذه السنة
الخراجية، كانت متداخلة بين سنين هلالية، وهي موافقة لغيرها

ومالها يجري على سنة تجرى بينهما. لان مدخلها في اليوم العاشر
من المحرم سنة احدى وخمسة مائة. وانقضاؤها في العشرين من
المحرم سنة اثنتين وخمسة مائة وهي متداخلة بين هاتين السنتين
ومالها يجري على سنة احدى وخمسة مائة والحال في ذلك لا ينتهي
الى امد، ولا يزال الفساد يتزايد طول الأبد * وقد رأى أمير
المؤمنين - وبالله توفيقه - ما خرج به امره الى السيد الاجل الافضل
الذي نبه على هذا الامر وكشف غامضه، وازال بحسن تبصره
تنافيه وتناقضه، ان يوعز الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل
مضمنا ما رآه ودبره، مودعا انفاذ ما احكمه وقرره، من نقل سنة
تسع وتسعين وأربعمائة، الى سنة احدى وخمسة مائة لتكون موافقة
لها، ويجري عليها مالها، ويكون ما يستأدونه من أقطاعاتهم
ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس، ونطاق
محيط غير منحوس، وشاهداً بنصيب موافي غير منقوص، ويتضح
مأبهم اشكاله التعمية، ويزول الاستكراه في اختلاف التسمية،
ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخرجية الى سنة اربع
وثلاثين وخمسة مائة وينسب مال الخراج والمقاسمات، وما يستغل
ويجبى من الاقطاعات، مما كان جاريا على ذكر سنة تسع وتسعين

واربعائة الى سنة احدى وخمسةائة وتجرى الاضافة اليها مجرى
ما يرتفع من الهلالى فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على
ما يخصها من مالها، وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من انتقالها،
فليعتمد ذلك فى الدواوين بالخضرة وفى سائر أعمال الدولة قاصيها
ودانيها، وفارسها وشامها. وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين،
وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذا السنن واتباعه، وليحظروا
الخروج عن احكامه المقررة واوضاعه، وليبادروا الى
امثال المرسوم فيه، وليحذروا من تجاوزه وتعيده، ولينسخ فى
دواوين الاموال والجيوش المنصورة، وليخذ بعد ذلك فى
بيوت المال المعمورة * وكتب فى محرم سنة احدى
وخمسةائة»

وقرأت لابن الصيرفى فى صبح الاعشى سجلا بالبشارة
بركوب الخليفة فى موسم اول السنة. ولما كان نظام هذا الموكب
غريبا بحيث اراده توطئة للسجل. وهو هذا نقلا عن القلقشندى
قال :

وكان من شأنهم فيه انه اذا كان العشر الاخير من ذي الحجة
من السنة وقع الاهتمام باخراج ما يحتاج اليه فى المواكب من

حوصل الخليفة فيخرج من خزائن السلاح ما يحمله الركابية وغيرهم حول الخليفة كالصمام (١) والدبايس والتوت (٢) وعمد الحديد والسيوف والدرق والرماح والالوية والاعلام، ومن خزانة التجمل برسم الوزير والامراء وأرباب الخدم الالوية والقضب والعماريات (٣) وغير ذلك، ومن الاصطبلات مائة فرس مسومة برسم ركوب الخليفة وما جنبه، ويخرج من خزانة السروج مائة سرج بالذهب والفضة مرصع بعضها بالجواهر بمراكب من ذهب وفي اعناق الخيل اطواق الذهب وقلائد العنبر وفي ارجل اكثرها خلاخل الذهب والفضة قيمة كل فرس وما اعياها من العدة الف دينار، يدفع للوزير منها عشرة بعدتها برسم ركوبه وركوب اخصائه وتسلم الى المناخات اغشية العماريات التي تحمل على الجمال. ويبعث الى ارباب الخدم من الاصطبلات بخيول عارية ليركبوها في الموكب. فاذا كان يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة استدعى الخليفة الوزير من داره ثم خرج الى باب الملك الذي فيه الشباك وعليه الستر من ظاهره فيقف من جانبه الايمن زمام القصر، ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال. فاذا وصل الوزير الى الشباك وجد تحته

(١) الصمام واحد صمامة وصمام وهو السيف الفاطع لا ينثني

(٢) التوت قال القلقشندي هي عمد حديد طول ذراعين مربعة

الاشكال بمقايض مدورة ورؤسها مدورة كذلك

(٣) العماريات وهي شبه الكنجارات (المخفات) ملبسة بالحرير

الاحمر والاصفر والقرمزي وغير ذلك وعياها كواسج (رمانات)

الفضة المذهبة

كرسيًا كبيراً من حديد فيجلس عليه ورجلاه تطآن الارض . فاذا
جلس رفع كل من زمام القصر وصاحب بيت المال الستر من جانبه
فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة فيقف ويسلم ويخدم بيده في
الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس ويستفتح
القراء بقراءة آيات لا ثقة بذلك المكان مقدار نصف ساعة . ثم يسلم
الامراء . ويشرع في عرض خيول الخاص المتقدم ذكرها واحدة واحدة
الى آخرها . فاذا تكمل عرضها قرأ القراء ما يناسب ختم ذلك المجلس .
فاذا فرغوا ارخى الستر وقام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ثم
ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الامراء معه الى خارج
فيمضون معه الى داره ركباناً ومشاة على حسب مراتبهم . فاذا صلى
الخليفة الظهر جلس لعرض الكسوة الخاص وتعيين ما يلبس في
ذلك المركب . ولباسه فيه البياض . فيعين منديل لشدة التاج (١) وبدلة
من هذا النوع والجوهر الثمينة وما معها من الجواهر لشدة التاج . والمظلة (٢)

(١) وصف المقرزي تاج الخليفة بقوله فاما المنديل فيسلم لشدة التاج
الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من الاستاذين المميزين لماسة ما يعلو تاج
الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الاهليجة ثم تحضر اليه
التيمة وهي جوهر عظيم لا يعرف لها قيمة فتنظم هي وما حوالها من الجوهر
على خرقة حرير احسن وضع ويحيطها شاد التاج بخياطة خفيفة ممكنة
فتكون باعلى جهة الخليفة ويقال ان زنة الجوهر سبعة دراهم وزنة الجواهر
احد عشر مثقالا وبتأثيرها قصبه زمرد ذبابي له قدر عظيم اه
(٢) كانت المظلة على ما يقول الفلقشندي مركبة من اثني عشر

تشبه تلك البدلة وتلف في منديل ديبقي فلا يكشفها الا حاملها عند ركوب الخليفة. ثم يشد لواء الحمد (١). فاذا كان اول يوم من العام بكر ارباب الرتب من ذوي السيوف والاقلام فلا يصبح الصبح الا وهم بين القصرين منتظرين ركوب الخليفة. وهو يومئذ فضاء واسع خال من البناء وي بكر الامراء الى دار الوزير ليركبوا معه فيخرج من داره ويركب الى القصر من غير استدعاء وامامه ماشرفه به الخليفة من الاولوية والاعلام والامراء بين يديه ركباناً ومشاة واولاده واخوته قدامه وكل منهم مرخي الذوابة بالحنك وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل والحنك متقلداً بالسيف الذهب. فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء ودخل هو راكباً الى محل نزوله بدهايز القصر المعروف بدهايز العمود فيترجل هناك ويمشي في بقية الدهايز حتى يصل الى متقطع الوزارة بقاعة الذهب هو واولاده واخوته وخواص حاشيته. ويجلس الامراء بالقاعة على دكك معدة لهم ويدخل فرس الخليفة وعلى جبهته الحافر (٢) الى باب المجلس الذي هو فيه وعلى باب المجلس

شوزكا (خانة) وعرض كل شوزك من الاسفل شبر وقوائمها او ضلعها ملبسة بانايب الذهب

(١) هما رحمان طويلان ملبسان بانايب الذهب الى حد استنهما وباعلاهما رايتان من الحرير الابيض المرقوم بالذهب

(٢) الحافر قطعة ياقوت احمر في شكل الهلال زنتها احد عشر مثقالا ليس لها نظير في الدنيا تخاط خياطة حسنة على خرقة من حرير

كرسي يركب من عليه . فاذا استوت الدابة الى ذلك الكرسي اخرجت
المظلة الى حاملها فيكشفها مما هي ملفوفة فيه ويتسلمها باعانة اربعة معدين
لخدمتها فيركبونها في آلة من حديد مشدودة في ركاب حاملها الايمن بقوة
ويمسك العمود بحاجز فوق يده . ثم يخرج السيف فيتسلمه حامله . فاذا
تسلمه ارخى ذؤابته فلا تزال مرخاة مادام حامله . ثم تخرج الدواة (١)
فيتسلمها حاملها ويجعلها قدامه بينه وبين السرج . ثم يخرج الوزير عن
المقطع وينضم اليه الامراء ويقفون الى جانب فرس الخليفة ويرفع
صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة من
الاستاذين (٢) يخرج الخليفة في اثرهم في ثيابه المختصة بذلك اليوم وعلى
رأسه التاج الشريف والدرة اليتيمة على جبهته وهو محنك مرخي الذؤابة

وبدائرها قصب زمرد ذبابي عظيم الشأن تجعل في وجه فرس الخليفة
عند ركوبه في المواكب

(١) الدواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المرجان على
صلابته تلف في منديل حرير ابيض

(٢) قال القلقشندي الاستاذون هم المعروفون الان بالخدام الطواشية
واجلهم المنكون وهم الذين يديرون عمائمهم على احناكهم كما تفعل العرب
وكانوا يزيدون على الف ومن عادتهم اذا التحق بهم شخص جديد اعطاه
كل واحد بدلة كاملة وسيفاً وفرساً وكان يتخدمهم شاد التاج وصاحب
المجلس وصاحب الرسالة وازمة القصور (طواشية) وصاحب بيت المال
وصاحب الدفتر وحامل الدواة وازمة الاقارب ومن يتولى طعام الخليفة

مما يلي جانبه الايسر مقلد السيف العربي وقضيب الملك بيده (١) ويسلم
 على الوزير ثم على القاضي والامراء. ثم يخرج الامراء وبعدهم الوزير
 فيركب ويقف قبالة باب القصر ويخرج الخليفة راكباً وفرسه ماشية
 على بسط خشية ان يزلق على الرخام والاستاذون حوله. فاذا قارب
 الباب وظهر وجهه ضرب رجل بيوق لطيف معوج الرأس متخذ من
 الذهب مخالف لصوت الابواق فتضرب البوقات في الموكب وتنتشر
 المظلة ويخرج الخليفة من باب القصر فيقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب
 الاستاذين المحنكين وذيرهم من ارباب الرتب. ثم يسير الخليفة في الموكب
 وصاحب المظلة على يساره وهو يحرص ان لا يزول ظاهها عن الخليفة.
 ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب اثنان منهم في شكيمتي جام
 فرسه واثنان في عنق الفرس من الجانبين واثنان في ركابه من الجانبين
 ايضاً. والايمين منهما هو صاحب المقرعة الذي يناولها للخليفة وهو الذي
 يؤدي عنه مدرة كوبه الاوامر والنواهي. واللواء ان المعروفان بلواءى الحمد
 عن جانبيه. والمذبتان (٢) عند رأس فرس الخليفة. والركابية يمينه وشماله
 نحو الف رجل مقلدون السيوف مشدودون الاوساط بالمناديل وهم من
 جانبي الخليفة كالجناحين المادين بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها
 احد وبالتقرب من رأسها الصقليان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان

(١) القضيب عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر
 والجوهر يكون بيد الخليفة في المواكب العظام
 (٢) منشتان عظيمتان

كالخلتين . ويرتب الموكب من اجناد الامراء واولادهم . واخلط العسكر امام الموكب . وادوان الامراء يلونهم . وبعدهم ارباب القضب الفضة من الامراء . ثم ارباب الاطواق منهم . ثم الاستاذون المحنكون . ثم اهل الوزير المقدم ذكرهم . ثم الحاملان للواءى الحمد من الجانبين . ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده وهما من الجانب الايسر وكل واحد من تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من اصحابه . ثم الخليفة بين الركابية وهو سائر على توادة ورفق . وفي اوائل العسكر ومقدمته والى القاهرة ذاهباً وعائداً لفسح الطرقات وتسيير من يقف . وفي وسط العسكر الاسفيسلار (١) يحث الاجناد على الحركة ويزجر المتراحمين والمعترضين في العسكر ذاهباً وعائداً . وفي زمرة الخليفة صاحب الباب يرتب العسكر ويحرس طرقات الخليفة ذاهباً وعائداً يلقي صاحب الباب اسفيسلار واسفيسلار يلقي والى القاهرة وفي يد كل منهم دبوس . وخلف الخليفة جماعة من الركابية لحفظ اعقابه . ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خرائط ديباج احمر واصفر يقال لها « سيوف الدم » برسم ضرب الاعناق . وبعدهم الحاملون للسلاح الصغير . ووراءهم الوزير في هيئة عظيمة وفي ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختارهم لنفسه من اصحابه . وقوم يقال لهم صبيان الزرد من اقوياء الاجناد من جانبيه بفرجة لطيفة امامه دون فرجة الخليفة مجتمداً ان لا يغيب الخليفة عن نظره . وخلفه الطبول والصنوج (النقارات) والصفافير في عدة كثيرة تدوي من اصواتها الدنيا .

ووراء ذلك حامل الرمح والدرة المنسوبة الى حمزة . ثم رجال الاساطيل مشاة ومعهم القسي وهم يزيدون على خمسمائة رجل . ثم طوائف الرجال زمرة بعد زمرة في عدة وافرة يزيد عددها على اربعة آلاف . ثم اصحاب الرايات (١) والسبعين (٢) ثم طوائف العساكر من الاتراك والمصريين والديلم والاكراذ . ثم الغزالمصطنعة وذيهم ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس واذا ترتب الموكب على ذلك سار من باب القصر الذي خرج منه بين القصرين حتى يخرج من باب النصر . ثم يعطف على يساره طالبا باب الفتوح ويسير بجانب السور حتى يأتي باب الفتوح فيدخل منه ويسير الموكب حتى ينتهي بين القصرين فيقف العسكر هناك على ما كان عليه عند الركوب ويترجل الامراء . فاذا انتهى الخليفة الى الجامع الاقمر وقف هناك في جماعته وينفرج الموكب للوزير فيتحرك مسرعا ليصير امام الخليفة . فاذا مر بالخليفة سجع له سكة (تسليمة) ظاهرة فيشير الخليفة بالسلام عليه اشارة خفيفة وهذه اعظم كرامة تصدر من الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف . فاذا جاوز الوزير الخليفة سبقه الى باب القصر ودخل راكبا على عادته والامراء امامه مشاة الى الموضع الذي ركب منه بدهايز العمود فيترجل

- (١) كانت الرايات يكتب عليها نصر من الله وفتح قريب
 (٢) السبعان رحمان برؤسهما أهلة من ذهب صامئة في كل واحد منهما سبع من ديباج احمر واصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فينتفخان فيظهر شكلهما يحملهما فارسان من صبيان الخاص

هناك ويقف هو والامراء لا ينتظار الخليفة . فاذا انتهى الخليفة الى باب القصر ترجل الاستاذون المحنكون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والاستاذون محذقون به . فاذا انتهى الى الوزير مشى الوزير امام وجه فرسه الى الكرسي الذي ركب من عليه فيخدمه الوزير والامراء وينصرفون ويدخل الخليفة الى دوره . فاذا خرج الوزير الى مكان ترجله ركب والامراء بين يديه واقاربه حواليه الى خارج باب القصر فيركب منهم من يستحق الركوب ويمشي من يستحق المشي ويسيرون في خدمته الى داره فيدخل وينزل على كرسي فيخدمه الجماعة وينصرفون وقد رأى الناس من حسن الموكب . ألهمهم وأراق خواطهم ويتفرق الناس الى اماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل اليهم « الغرة » وهي دنانير رباعية ودراهم خفاف مدورة يكون الخليفة قد أمر بضربها في العشر الاخير من ذي الحجة برسم التفرقة في هذا اليوم لكل واحد من الوزير والامراء وأرباب المراتب من حملة السيوف والاقلام قدر مخصوص من ذلك فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة ويكتب الى البلاد والاعمال سجلات بالبشائر بركوب أول العام وهذه نسخة السجل :

« الحمد لله الذي لم يزل يولي احساناً وانعاماً * واذا أبلى عبيده عاماً أجد لهم بفضله عاماً * فقد أمدكم معاشر (١)

(١) يكتب عادة في مكان هذا البياض من يوجه اليهم الخطاب على هذا الترتيب معاشر اقارب امير المؤمنين من اخوته وبني

كرماً ومنا * وآتاكم من جوده أكثر مما يتمنى * ومنحكم
 من عطاءه ما يوفى على ما أردتموه * وسخر لكم الليل
 والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه * وقد استقبلتم هذه السنة
 السعيدة * وإذا عملتم بالطاعة كنتم مستنجزين من ثواب الله
 الاغراض البعيدة * وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي عدت
 الجنة مذكرة لمن عمل بهداه لما سمعه * ومهيأة لمن آمن به
 واتبع النور الذي أنزل معه * ويبيّن بأرشاده ما يجري أمور
 السنين عليه في العدد والحساب * ونسخ ما كانت الجاهلية
 فيه زيادة في الكفر وضلالاً عن الصواب * وعلى أخيه وابن
 عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي كمل الله الاسلام
 بأمامته * وضاعف الاجر لأهل ولايته * ومنح شيعته مقبول
 شفاعته * وعلى الأئمة من ذريتها خلفاء الله على خلقه * والقائمين
 بواجب حقه * والعاملين في سياسة الكافة بما يرضيه سبحانه *
 ويضمن غفرانه ورضوانه * وسام عليهم أجمعين * سلاماً باقياً الى
 يوم الدين * وان أحق النعم بنشر الذكر * وأوجبها للوصف
 واعمال الفكر * نعمة رفعت الشك وأزالت اللبس * ووضح

عمه وخواص دولته وامرائها واجنادها وكتابها وقضاتها وكافة رعيته

ضياؤها لأولى الألباب وضوح الشمس * واشترك فيها الناس
 فتضاعفت الفائدة لديهم * وانتفعوا بذلك في تواريخهم ومعاملاتهم
 وما لهم وعايهم * وتلك المعرفة باليوم الذي هو مطلع السنة
 وأولها * ومبدؤها ومستقبلها * وحقيقة ذلك ظهور امام كل
 زمان * وكان ظهور امام زماننا مولانا وسيدنا الأمام فلان *
 وتساوى في الشرف برويته العامة والخاصة . فكان استقلال
 ركابه اشعاراً بأن اليوم الذي تجلى فيه لأوليائه . ولرعاياه المتفيعين
 ظل لوائه * هو افتتاح السنة واول محرما . وعليه المعتمد في عدد
 تام الشهور وناقصها من مفتحها الى مختمها . يوم كذا غرة
 المحرم من سنة كذا في عساكر لا يحصر عددها . وقبائل لا
 ينقطع مددها * واذا اضطربت نار الكفر والتهبت * طفئت
 بأنوارهم وخبث * وقد تقلدت هندية تروع اذا اشرقت وسكنت *
 فما الظن اذا اصطحبت * والارض بمروره عليها مبهجة موفقه *
 وملائكة الله عز وجل حافة به محدقه * فأذن بأن اليوم
 المذكور هو غرة السنة المعينة * وان اليوم الفلاني أمسه انسلاخ
 سنة كذا المتقدمة * لتستقيم أمورهم على أعدل نهوجهم *
 وليحفظ نظام دينهم في صومهم وفطرهم وحجهم * ولذلك

أصدر هذا الكتاب ليتلوه الأمير علي من يسكن عمله* وجميع
 من قبله* ويثابثوا في معرفته ويحمل كل منهم الأثر عليه في
 معتقده وأسباب معاملته. ويشكر والله على النعمة عليهم بهدايته*
 وهو يعتمد ذلك ويطلع بمكاتبته فيه ان شاء الله تعالى»
 وقد اطلعت للمترجم في «صبح الأعيان» على مكاتبة
 بالبشارة بركوب اول رمضان اوردها مسبوقه بشيء عن
 ركوب هذا اليوم نقلا عنه أيضاً قال :
 وهذا الموكب قائم عند الشيعة مقام رؤية الهلال والامر في
 العرض واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق
 المسلوكة على ما تقدم في اول العام من غير فرق. ويكتب الى الولاة
 والنواب والاعمال بالبشائر وهذه نسخة كتاب من انشاء ابن
 الصيرفي للبشارة بالسلامة في ركوب اول شهر رمضان :
 « الحمد لله كالي خلقه في اليقظة والمنام. والكافل لهم بمضاعفة
 الاجر في شهر الصيام . وصلى الله على سيدنا محمد الذي بعثه
 رحمة للانام . وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن ابي
 طالب اخلص ولي وأشرف وصي وافضل امام . وعلى الأئمة
 من ذريتهم الداعين الى دار السلام. صلاة دائمة الاتصال . مستمرة
 في الغدو والآصال * وان من المسرة التي تهادي . والنعمة

الشاملة الخلق جميعاً وفرادى . ما من الله به من ظهور مولانا
وسيدنا الامام فلان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين
وأبنائه الاكرمين . يوم كذا غرة شهر رمضان من سنة كذا
اعلاما بول الشهر وافتتاحه . وان اول الصيام من فجره
الاول قبل تنفس صباحه . وتوجهه الى ظاهر المعزية القاهرة
المحروسة في عساكره المظفرة وجنوده . وأوليائه وأنصاره
وعبيده . والمنة برويته قد تساوى فيها الكافة . وملائكة الله
مطيفة حافة . وعوده الى قصوره الزاهرة . وقد شمل المستظلمين
بأفيائه . بسعادة الدنيا والآخرة اصدر اليك هذا الامر لتقف
على الجملة . وتشكر النعمة السابغة على اهل الملة . وتتلوها على
اهل عمالك وتطالع بمكاتبتك في ذلك فاعلم هذا واعمل به
ان شاء الله »

وعثرت له أيضاً على سجلات البشارة بركوب الخليفة في ايام
الجمع الثالث من شهر رمضان . وهي الثانية والثالثة والرابعة
وقبل ايرادها انقل عنه وصف مواكبها قال

اذا ركب الى الجامع الانور يباب البحر بكر صاحب
بيت المال الى الجامع بالفرش المختص بالخليفة محمولا على أيدي اكابر

الفراشين ملفوفاً في العراضى الديبق فيفرش في المحراب ثلاث طراحات
 بيضاء منقوشة بالحمرة وتفرش واحدة فوق واحدة ويلق ستران يميناً
 ويسرة في الستر الايمن مكتوب برقم حرير احمر سورة الفاتحة وسورة الجمعة،
 وفي الستر الايسر سورة الفاتحة وسورة المنافقين كتابة واضحة
 مضبوطة. ويصعد قاضي القضاة المنبر وفي يده مدخنة لطيفة خيزران
 يحضرها اليه صاحب بيت المال وفيها زبد مثلث لا يشم مثله الا هناك
 فييخر ذرورة المنبر التي اعينها القبة لجلوس الخليفة للخطابة ثلاث
 دفعات. ويركب الخليفة في هيئة ما تقدم في اول العام وأول رمضان
 من المظلة والآلات. ولباسه فيه الثياب البيضاء غير المذهبة توقير للصلاة
 والمنديل والطيلسان المقور وحول ركابه خارج الركابية قراء الحضرة
 من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة نوبة بعد نوبة من حين ركوبه
 من القصر الى حين دخوله قاعة الخطابة. فيدخل من باب الخطابة
 فيجلس فيها وان احتاج الى تجديد وضوء فعل. ويحفظ المقصورة من
 خارجها بترتيب أصحاب الباب واسفهلار وصبيان الخاص وغيرهم
 ممن يجرى مجراهم من اولها الى آخرها وكذلك من داخلها من باب
 خروجه الى المنبر فاذا اذن للجمعة دخل اليه قاضي القضاة فقال :
 السلام علي امير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب ورحمة الله وبركاته،
 الصلاة يرحمك الله ! فيخرج ماشياً وحواليه الاستاذون المحنكون والوزير
 ورائه ومن يايهم من الامراء من صبيان الخاص وبايديهم الاسلحة
 حتى ينتهي الى المنبر فيصعد حتى يصل الى الذرورة تحت القبة المبخرة

والوزير علي باب المنبر ووجهه اليه . فاذا استوى جالساً اشار الى الوزير بالصعود فيصعد الى ان يصل اليه فيقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس . ثم يزر عليه تلك القبعة وتصير كالمودج . ثم ينزل مستقبلاً للخليفة ويقف ضابطاً للمنبر . فان لم يكن وزير صاحب سيف كان الذي يزر عليه قاضي القضاة ويقف صاحب الباب ضابطاً للمنبر فيخطب خطبة قصيرة من سفظ يأتي اليه من ديوان الانشاء ويقرأ فيها آية من القرآن الكريم ثم يصلي فيها علي ابيه وجده يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه ويعظ الناس وعضاً بليغاً قليل اللفظ ويدكر من سلف من آباءه حتي يصل الى نفسه فيقول : اللهم وانا عبدك وابن عبدك لا أملاك لنفسى ضراً ولا نفعاً . ويتوسل بدعوات تليق به ويدعو للوزير ان كان ثم وزير وللجيوش بالنصر والتألف وللعساكر بالظفر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ثم يتم بقوله « اذكروا الله يذكركم » (١) فيطلع اليه من زر عليه فيفك ذلك التزوير عنه وينزل القهقري فيدخل المحراب ويقف علي تلك الطراحت اماماً والوزير وقاضي القضاة صفا ومن ورائهما الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والاقلام والموءذون وقوف وظهورهم لحائط المقصورة (٢) والجامع مشحون بالعلم للصلاة ورائه فيقرأ

(١) يريد بهذه الآية ان يذكركم بنفسه حتي يفكوا الازرار عنه وقد بقيت لخطباء المنابر عادة وان أرادوا بها غير ما أراد

(٢) كانت العادة ان يصلي تحت عقد المنبر كاتب الدست واهله

في الركعة الاولى ما هو مكتوب في الستر الايمن وفي الثانية ما في الستر
الايسر . فاذا سمع الخليفة سمع القاضي المؤذنين فيسمع المؤذنون
الناس . فاذا فرغ خرج الناس وركبوا اول فأول وعاد الى القصر
والوزير وراه حتى يأتي الى القصر والطبول والبوقات تضرب
ذهابا وايابا . فاذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر ركب الى الجامع الازهر
كذلك وفعل كما فعل في الجمعة الاولى لا يختلف في ذلك غير الجامع .
فاذا كانت الجمعة الرابعة منه ركب الى الجامع العتيق بمصر ويزين له
اهل القاهرة من باب النصر الى الجامع الطولوني . ويزين له اهل مصر
من الجامع الطولوني الى الجامع العتيق . وقد ندب الواليان بالبلدين من
يحفظ الناس والزينة . ويركب من باب القصر ويسير في الشارع الاعظم
بمصر يمشي في شارع واحد بين العمارة الى الجامع العتيق بمصر فيفعل
كما فعل في الجامعين الاوامين من غير مخالفة . فاذا قضي الصلاة عاد الى
القاهرة من طريقه الى ان يصل الى قصره . وفي خلال ذلك كله لا يمر
بمسجد الا اعطي اهله ديناراً علي كثرة المساجد في طريقه
وهذه هي نسخ السجلات المذكورة :

(سجل الجمعة النازية)

«أفضل ما سير ذكره، ووجب حمد الله تعالى عليه وشكره،
ما عاد على الشريعة بالجمال والبهجة، وأضحى واصفه صحيح

ومتولى ديوان الانشاء ولا يمكن غيرهم ان يكون معهم

المقال صادق للهجة، فضاغف حسنه ومحص سيئه وجعل اسباب
 السعادة متسهله متهيئة * وذلك مايسره الله تعالى من استقلال
 ركاب سيدنا ومولانا صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين،
 وأبنائه الاكرمين، يوم الجمعة من شهر رمضان من سنة كذا
 مؤديا خطبتها وصلاتها، وضامنا لامة ائتمت به خلاصها يوم
 الفرع الاكبر ونجاتها، في وقار النبوة وسكينة الرسالة، والهيبة
 المستولية على العظمة والجلالة، والعساكر الجمة التي تعلق بمهابتها
 وتزعج، وتظن لكثرتها واقفة والركاب تهملج * ولما انتهى اليه
 خطب ووعظ ففتح ابواب التوبة، وآب الى الطاعات من لم
 يطمع منه بالأوبة، وصلى صلاة تقبلها جل وعز بقبول حسن
 وقصر في وصفها ذوو الفصاحة واللسن، وعاد الى مستقر الخلافة،
 ومثوى الرحمة والرافة، وعين الله له ملاحظة، وملائكته له
 حافظة * اعلمت ذلك لتذيعه في اهل عملاك وتطالع بمكاتبك

(سجل الجمعة الثالثة)

لم يزل غامر كرم الله وفضله، يفوز حاضره ما كان من
 قبله. فنعمة الله تعالى سابعة. ومننه متتابعة. وملايسها ضافية.

ومغارسها نامية . وسحائبها هامية * وهو جل وعز يضاعفها على
من صلى وصام . ويواليها عند من تمسك بالعروة الوثقى التي
لا انفصال لها ولا انفصام . ويجدد من ذلك ما كان من بروز
مولانا وسيدنا الأمام فلان . صلوات الله عليه وعلى آبائه
الطاهرين . وأبنائه الأكرمين . يوم الجمعة من شهر رمضان من
سنة كذا في شامخ عزه وباذخ مجده وتوجهه الى الجامع
الأنور المنسوب الى مولانا الامام الحاكم بأمر الله جده
سلام الله عليه وصلواته . وبركاته وتحياته . وعساكره قد تجاوزت
الحد . وكثرت عن الاحصاء والعد . فاذا تأملها الطرف انقلب
عنها خاسئاً وارتد * ولما وصل الى الجامع المذكور خطب فأورد
من القول أحسنه . ووعظ فأسمع من الوعظ أوضحه وأبينه .
وصلى صلاة جهر بالقراءة فيها ورتلها * وعاد الى قصوره الشريفة
وقد شملت البركات برويته . ووفق من عمل بموعظته . ونجا
من اقتدى به في صلاته . واستولى على السعد من جميع أرجائه
وجهاته * أعلمناك ذلك لتعرف قدر النعمة به فاشكر الله سبحانه
بمقتضاه واعتمد تلاوة هذا الامر على رعوس الاشهاد
فاعلم ذلك

﴿ سجل الجمعة الرابعة ﴾

«من عوائد الله سبحانه الاحسان الى عبيده وتعويضهم
الشكر عليه بنموه ومزيدة . والامتنان بتيسير عصيه
وتعجيل قصيه وتقريب بعيده * فهو لا يخايهم من نواجه . ولا
يغنيهم من هواجمه * ولما أقبل هذا الشهر الشريف كان من
عموم بركاته . وشمول خيراته . ان مولانا وسيدنا الامام الفلاني
صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين . وابنائهم الاكرامين .
والى فيه بركاته . وأزكى أعمال المؤمنين في استماع اختطابه
والإهتمام بصلاته * وفي هذا اليوم وهو يوم الجمعة من شهر
رمضان عمل ركابه الى الجامع العتيق بمصر ليسهم لهذه المدينة
من حظي الدنيا والآخرة . مثل ما أسهمه وعجمله لأهل المعزية
القاهرة . فكانت يعجز وصفها كل لسان * وظهر عليه السلام
في الرءاين: السيف والطيلسان . والجيش قد انبسطت
وانتشرت . والنفوس قد اتهجت واستبشرت . والألسنة
قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوفرت * وعند وصوله
خطب فأحسن في الالفاظ والمعاني . وحذر من تأخير التوبة
والتضييع فيها والتواني . وصلى صلاة شرفها الله وفضلها .

ورضيها تبارك وتعالى وتقبلها . وانكفأ عائداً الى قصوره
ومنازله المعظمة . ضاعف الله له ثوابه وأجره . وأوجب شكره .
ورفع ذكره * ويجب ان يعتمد اذاعة ذلك ليبالغ الكفاية في
في الاعتراف بالنعمة فيه . ويواصلوا شكر الله تعالى عليه
والمطالعة بما اعتمد فيه »

* *

هذا ولهم عادة بالركوب في أيام غير هذه ويكون ركوبهم
إما في يوم السبت او الثلاثاء ولا تتجاوز مرات ركوبهم من
المحرم الى شهر رمضان خمس مرات . ويذهبون في
ركوبهم الى الجامع العتيق شاقين القاهرة وشوارعها الى جامع
ابن طولون على المشاهد . فاذا وصل الى بابه وجد الخطيب
وفي يده المصحف المنسوب خطه الى علي بن ابي طالب (رضه)
فيناوله المصحف فيتسلمه منه ويقبله مراراً ويعطيه صاحب
الخريطة المرسومة للصلاة ثلاثين ديناراً فيوصلها الى مشارف
الجامع ويكون نصيبهما فيها خمسة عشر والباقي للقومة والمؤذنين .
ثم يسير الى ان يصل دار الملك فينزلها والوزير معه ولا يمر في
طريقه بمسجد الا اعطى قيمه من الخريطة ديناراً . وهناك تأتيه

المائدة من القصر فيأكل هو والوزير وكبار الدولة والباقي يوزع
 علي سكان مصر . وبعد العصر يرجع الي القاهرة وزيه في
 هذه الركوبات الثياب البيض المذهبة والمنديل من النسبة
 مشدود شدة مفردة عن شدات الناس وذوآبته مرخاة من
 جانبه الايسر ويتقلد السيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة
 ولا يتيمة فان ذلك انما يكون في اوقات مخصوصة . وفي
 رجوعه ينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا
 القاهرة حتي يدخل القصر

وعثرنا له أيضاً على عدة سجلات ذكرها القلقشندى
 والمقریزی بمناسبة ركوب عيد الفطر نهد لذكرها بكلمة في
 وصف الموكب (١) نقلا عن القلقشندى . قال :

(١) يظهر انه لم يكن الخليفة علي عهد امير الجيوش بدر الجمالی
 وولده الافضل ليذهب الي المصلی بموكبه استبداداً منهما علي الخلفاء
 قال المقریزی : ولما توفي امير الجيوش بدر الجمالی وانتقل الامر الي
 ولده الافضل جرى علي سنن والده في صلاة العيد فكان يقف علي
 باب دار الوزارة حتي تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الي
 الايوان ويصلی به القاضي ثم يجلس بعد الصلاة علي المرتبة الي ان
 تنتضي الخطبة فيدخل من باب الملك علي الخليفة بحيث لا يراه احد

اما عيد الفطر فيقع الاهتمام بركوبه في العشر الاخير من رمضان وتعبى
اهبة المواكب على ما تقدم في اول العام وغيره . وكان خارج باب النصر
مصلى على ربوة وجميعها مبني بالحجر . ولها سور دائر عليها . وقلعة على بابها .
وفي صدرها قبة كبيرة بها محراب . والمذبح الى جانب القبة وسط المصلى
مكشوفاً تحت السماء ارتفاعه ثلاثون درجة وعرضه ثلاثة اذرع وفي
اعلاه مصطبة . فاذا كمل رمضان وهو عندهم ثلاثون يوماً من غير نقص -
وكان اليوم الاول من شوال صار صاحب بيت المال الى المصلى
خارج باب النصر وفرش الطراحت بمحراب المصلى كما تقدم في
الجوامع في أيام الجمع ويعلق سترين يمنة ويسرة : في اليمين « الفاتحة
وسبح اسم ربك الاعلى » وفي اليسر « الفاتحة وهل أذك حديث
الغاشية » ويركز في جانبي المصلى لواءين مشدودين على رحمين ملبسين
بأنايب الفضة وهما منشوران سرخيان . ويوضع على ذروة المنبر طراحة

غيره ثم يخلع عليه ويتوجه الى داره . فلما قتل الافضل واستقر بعده
المأمون بن البطائحى في الوزارة قال هذا نقص في حق العيد ولا يعلم
السبب في كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الأمر باحكام الله فما
تراه أنت ؟ قال يجلس مولانا في المنطرة التي استجدت بين باب الذهب
وباب البحر وتفتح الطاقات فيقف المملوك بين يديه وتجوز العساكر
فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا اليها فاذا حان وقت الصلاة
توجه المملوك بالموكب والزي وجميع الامراء والاجناد (يعنى في
خدمة الخليفة الى المصلى) فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ
في شكره

من شاميات اودبيقى . ويفرش باقيه بستر من بياض على مقداره في تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغير بالمشي وغيره . ويجعل في اعلاه لوآن مرقومان بالذهب يمنة ويسرة . ثم سار الوزير من داره الى قصر الخليفة على عادته المتقدمة المذكور . ويركب الخليفة بهيئة الموكب العظيمة على ما تقدم في اول العام من المظلمة والتاج وغير ذلك من الآلات . ويكون لباسه في هذا اليوم الثياب البيض الموشحة وهي أجل لباسه ومظلمته كذلك . ويخرج من باب العيد على عادته في ركوب الموكب . الا ان العساكر في هذا اليوم من الامراء والاجناد والركبان والمشاة تكون اكثر منها في غيره . وينتظم القوم له صفين من باب القصر الى المصلى . ويركب الخليفة الى المصلى فيدخل من شرقها الى مكان يستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظاً بحاشيته كما في صلاة الجمع المتقدمة الذكر فيصير الى المحراب والوزير والقاضي وراءه كما تقدم فيصلي صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة ويقرأ في الركعة الاولى ما في الستر الذي على يمينه وفي الثانية ما في الستر الذي على يساره . فاذا فرغ وسلم صعد المنبر لخطابة العيد . فاذا انتهى الى ذروة المنبر جلس على تلك الطراحة بحيث يراه الناس ويقف اسفل المنبر الوزير وقاضي القضاة وصاحب الباب واسفهلار وصاحب السيف وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الاشراف والاقارب وصاحب بيت المال وحامل الرمح وتقيب الاشراف الطالبين ثم يشير الخليفة الى الوزير بالصعود فيصعد حتى ينتهي الى الدرجة الثالثة

ويكون وجهه مواز يأرجل الخليفة فيقبلها بحيث يراه الناس ثم يقوم فيقف على يمنة الخليفة. فاذا وقف اشار الى قاضي القضاة بالصعود فيصعد الى سابع درجة ثم يتطلع اليه منتظرا ما يقول فيشير اليه فيخرج من كه درجاً قد أحضر اليه في امسه من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه فيقول بعد البسملة : تشرف بصعود المنبر الشريف في يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابائه الاكرمين بعد صعود السيد الاجل (ويدكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) من يشرفه الخليفة بصعود المنبر من اولاد الوزير ثم القاضي ولكنه يكون هو القارىء فلا يسعه ذكركر نعوته فيقول المملوك فلان بن فلان ونحو ذلك . ثم الواقفون على باب المنبر ممن تقدم ذكرهم بنعوتهم واحدا واحدا وكلاما ذكر واحدا استدعاه وطلع المنبر كل منهم يعرف مقامه في المنبر يمنة ويسرة . فاذا لم يبق أحد ممن يطالع الى المنبر اشار الوزير اليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيباً من اللوآء الذي بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون وينادي الناس « الانصات ! » فيخطب الخليفة خطبة بليغة مناسبة لذلك المقام يقرأها من السفط الذي يحضر اليه مسطرا من ديوان الانشاء كما في جمع رمضان المتقدمة الذكر . فاذا فرغ من الخطبة اتى كل من في يده شيء من اللوآء خارج المنبر فينكشفون وينزلون القهقري أول باول الاقرب فالاقرب فاذا خلى المنبر للخليفة هبط ودخل المكن الذي خرج منه فيلبث قليلا ثم يركب في هيئته التي آتى فيها الى

المصلى ويعود في طريقه التي أتى منها. فاذا قرب من القصر تقدمه
الوزير على العادة ثم يدخل من باب العيد الذي خرج منه فيجلس
في الشباك الذي في الايوان الكبير وقد مد فيه الى فسقية في وسط
الايوان مقدار عشرين قصبة سماط فيه من الخشكان والبسندود (١) وغير
ذلك مما يعمل في العيد مثل الجبل الشاهق كل قطعة ما بين ربع قنطار
الى رطل واحد فياكل من ياكل وينقل من ينقل لا حجر عليه ولا
مانع دونه ثم يقوم من الايوان فيركب الى قاعة الذهب فيجد سرير
الملك قد نصب ووضع له مائدة من فضة ومد السماط تحت السرير
فيترجل على السرير ويجلس على المائدة ويستدعي الوزير فيجلس معه
ويجلس الامراء على السماط ولا يزال كذلك حتى يستهزم السماط
قريب صلاة الظهر ثم يقوم وينصرف الوزير الى داره والامراء في
خدمته فيمد لهم سماطاً يأكلون منه وينصرفون

هذا ما أردنا ايراده تمهيداً لذكر سجل عيد الفطر .

واليك الآن نصه :

« أما بعد فالحمد لله الذي رفع بأمر المؤمنين عماد الايمان
وثبت قواعده، وأعز بخلافته معتقده، وأذل بمهاботه معانده، وأظهر
من نوره ما انبسط في الآفاق وزال معه الاظلام، ونسخ به

(١) يشبه ان يكون ذلك من نوع الكمك فان خشكان مركبة
من كلمتين فارسيتين خشك بمعنى ناشف ونان اي الخبز

ما تقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام و جعل المعتصم
 مجبلا مفضلا على من يفاخره ويباهيه . و اوجب دخول الجنة
 و خلودها لمن عمل بأوامره و نواهيه * و صلى الله على سيدنا
 محمد نبيه الذي اصطفى له الدين . و بعثه الى الأقرين و الأبعدين .
 و ايده في الارشاد حتى صار العاصى مطيعا . و دخل الناس في
 التوحيد فرادى و جميعا . و غدوا بعروته الوثقى متمسكين . و انزل
 عليه « قل انى هدى ربي الى صراط مستقيم ديننا قيا ملة ابراهيم
 حنيفا و ما كان من المشركين » . و على اخيه و ابن عمه ابينا امير
 المؤمنين علي بن ابي طالب امام الامة . و كاشف الغمة . و اوجه
 الشفعا لشيعته يوم العرض . و من الاخلاص فى ولائه قيام بحق
 و اداء فرض . و على الأئمة من ذريته ماسادة البرية . و العادلين فى
 القضية . و العامدين بالسيرة المرضية . و سلم و كرم . و شرف
 و عظم * و كتاب امير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من
 سنة ست و ثلاثين و خمسمائة . و قد كان من قيام امير المؤمنين بحقه
 و أدائه ، و جريه فى ذلك على عادته و عادة من قبله من آباءه . و ما ينبئك
 به . و يطلعك على مستوره عنك و مغيبه . و ذلك ان دنس ثوب الليل
 لما بيضه الصباح . و عاد المحرم المحذور بما اطلقه المحلل المباح .

توجهت عساكر امير المؤمنين من مظانها الى بابه . وافطرت
بين يديه بعد ما حازته من اجر الصيام وثوابه . ثم اثنت الى مصافها
في الهيات التي يقصر عنها تجريد الصفات . وتغنى مهابتها عن
تجريد المرهفات . وتشهد اسلحتها وعددها بالتنافس في الهمم .
وتقلق مواضعها في انعمادها شوقا الى الطي والقمم * وقد امتلأت
الارض بازدهام الرجل والخيل . وثار العجاج فلم ير اغرب من
اجتماع النهار والليل . وبرز امير المؤمنين من قصوره . وظهر
للابصار على انه محتجب بضياءه ونوره . وتوجه الى المصلى في هدى
جده وابه . والوقار (١) الذي ارتفع فيه عن النظر والشبيه * ولما
انتهى اليه قصد المحراب واستقبله . وادى الصلاة على وضع رضيه
الله وتقبله . واجرى امرها على افضل المعهود . ووفاهما حقهما من
القراءة والتكبير والركوع والسجود (٢) وانتهى الى المنبر

(١) يشير الى شدة الوقار التي مر بك ذكرها وهي العمامة

(٢) قال ابن زولاق وركب المعزدين الله يوم الفطر لصلاة العيد
الى مصلى القاهرة وكانت خارج باب النصر في زيه وبنوده وبقابه وصلى
بالناس صلاة العيد تامة طويلة سبحت خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة
نيفا وثلاثين تسبيحة وجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة .
فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا . ثم ستر

فعلا وكبر الله . وهلله علي ما أولاه . وذكر الثواب على اخراج
 الفطرة وبشر به . وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير
 وقربه . ووعظ ووعظا ينتفع قابله في عاجلته ومنقلبه * ثم عاد الى
 قصوره الزاهرة مشمو لا بالوقاية . مكنوفاً بالكفاية . منتهياً في
 ارشاد عبيده ورعاياه اقصى الغاية * اعلمك امير المؤمنين خبر
 هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه . وتعلن بتلاوته على الكفاية
 ليشتركوا في معرفته ويشكروا الله عليه * فاعلم هذا واعمل
 به ان شاء الله تعالى «

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك والدولة مشتملة على
 وزير عن الحافظ لدين الله العلوي خليفة الديار المصرية في

بالستين الذين كانا على المنبر نخطب وراءهما على رسمه وكان في اعلى
 درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عابها بين الخطبتين واستفتح
 الخطبة بالبسملة . وكان معه على المنبر العائد جوهر وعمار بن جعفر
 وشفيع صاحب المظلة ثم قال الله اكبر الله اكبر وخطب وابلغ وابكى
 الناس وكانت خطبته بمخشوع وخضوع . فلما فرغ من الخطبة انصرف
 في عساكره وخلفه اولاده الاربعة بالجواشن (الدروع) والخود
 على الخيل بأحسن زي وساروا بين يديه بالقيلين . فلما حضر في قصره
 احضر الناس فاكلوا وقدمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وعتب
 على من تأخر وهدد من بلغه عنه صيام العيد

سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وهى :

« الحمد لله الذي اعز الاسلام وشيد مناره ، وايد اوليائه
 ونصر انصاره ، واظهر في مواسمه قوته واستظهاره ، وختم
 الشرائع بشرف ابدى فكان حظها منه ايثاره ، وحظ الاسلام
 استبداده به واستيثاره ، وصلى الله على جدنا محمد الذي كرمه
 باصطفائه ، واسعد من حافظ على اتباع نهجه واقتفائه ، وبين
 بشرعه ما حلله وحرمه ، ودعى الامة بأرساله الى دين قيم اعلى
 بناءه واحكمه ، ووعدهم على مفروضه ومسئولته ، جزيل الاجر ،
 وأمر في اعتقاد خلافه بالدفع والمنع والزجر ، وعلى أخيه
 وابن عمه أئمة امير المؤمنين علي بن ابي طالب اول الأئمة
 الخلفاء ، والمشهرة فضائله اشتهاراً ليس به من خفاء ، ومن
 حباه الله المحل الرفيع والمن الجزيل ، وخصه من الشرف بما
 جاء فيه من محكم التنزيل ، وعلى الأئمة من ذريتهما القائمين
 بفرض الله والمؤدين لحقوقه ، والذين كفلت امانتهم بانبساط
 نور الحق وانتشار لوائه وخفوقه ، وسلم وكرم ومجد وعظم ،
 وكتاب امير المؤمنين اليك يوم كذا عيد الفطر من سنة احدى
 وثلاثين وخمسمائة الذي امر الله فيه بما نهى عنه من قبله ،

وضاعف الاجر بكرمه وفضله ، فرفع تكاليف الصوم ،
 واوجب الأُفطار في هذا اليوم ، وساوى في ذلك كل متهم
 ومنجد ، وامر بني آدم فيه بأخذ الزينة عند كل مسجد * وكان
 من خبره ان الفجر لما طلع مبشرا بالشمس ، ومؤذنا ببعثها
 من الرمس ، تتابعت الجيوش الموفورة ، والعساكر المنصورة ،
 الى ابواب القصور الزاهرة ، توكننا لأنوار امير المؤمنين (١)
 وترقبا لظهوره قاضيا حتى الدين . فلما اسفر الصبح واضاء ،
 وملا الخلائق الفضاء ، تجلى من افلاك امامته ، وبرز فانبط
 كل مؤمن بثباته على المشايعة واقامته ، وكان ظاهرا وهو
 محتجب بالأُنوار ، وممتعا وهو منتهب بالابصار ، والكافة
 يصاحفون الارض ويجتهدون في الدعاء باخلاص نياتهم ،
 والعساكر المؤيدة لو انها عمت الارض بتطبيقها ، وسارت بين
 قريتها وسحيقها ، وصارت كالجبال الرواسي فيها ، وكانت
 قد تزلزلت ومادت بأهلها ، وهي مع تباين اجناسها وطوائفها ،
 متظافرة على معاند الدولة ومخالفيها ، متلائمة على الولاء متمائة

(١) التوكن في الاصل حسن الاتكاء في المجلس وقصد به هنا

على الأعداء، تتلفت الى المجاهدة كأنها الاسود اقداما ولباسا،
وكأنها فصلت جوامد الغدران سلاحاً لها ولباساً، والسيد
الاجل الافضل (١) الذي عظمت به المواهب وجلت، وذهبت
بوزارته الغياهب وتجلت، وتهلل بنظره وجه الملة وكان
عابساً، واعاد الدولة معصراً وقد كانت قبله عانساً (٢)، وحسنت
الذيا بأيامه اذ ليس فيها من يضاھيه، وانتظمت امورها على
الارادة بصددورها عن اوامره ونواھيه، فرتب المواكب
بمهابته، وتستغنى بتوغلها في القلوب عن ايمائه وشارته، وكل
طائفة مقبلة على شأنها لازمة لمكانها، منصرفة على تهذيبه
وتقريره، عاملة باذائه فوقوقها بوقوفه ومسيرها بمسيره،
وتوجه امير المؤمنين الى المصلى، مخفوفاً بانوار تجلى، ما انشأته
سنا بك الخليل وتمحو آية نفع قام مشارها مقام ظلام الليل، وعاليه
من وقار الامامة، وسكينة الخلافة، ما خصه الله تعالى به دون البربة
وحده. لانه مما ورث أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم واله ووجهه

(١) هو الافضل بن ولخشى وزير الحافظ وهو غير الافضل

شاهنشاه المتوفى سنة ٥١٥ هجرية

(٢) اي أعاد الدولة شابة بعد ان كانت عجزواً

ولما انتهى الى المحراب وامه . وادى الصلاة اكمل آداء
واتمه . قصد المنبر فعلاه ، ومجد الله تعالى وحمده على ما اولاه .
ووعظ ووعظاً خوف عاقبة المعاصي والذنوب ، وحل وكلاء
العيون وداوى مرض القلوب ، وامر بسلوك سبيل الطاعات
وافعال البر ، وحث على التوفير عليها في الجهر والسر * وعاد
الى قصوره المكرومة ومواطنه المقدسة وقد بذل في نصحه
لله ولرسوله وللمؤمنين جهده . وفعل في الارشاد والهداية
ما لا غاية بعده * انباك امير المؤمنين خبر هذا اليوم لتشكر
الله على النعمة فيه ولتذيعه قبلك على الرسم فيما يجاريه . فاعلم
هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك مع خلو الدولة عن
وزير من النشاء ابن الصيرفي :

« الحمد لله ناشر لوائه في الاقطار ، ومعرض المطيعين من
جزائه لبلوغ الاوطار ، الذي نسخ الافطار بالصيام ونسخ
الصيام بالافطار ، وكلف عباده ما يطيقونه ووعد عليه اجزل
اجرهم ، واسبغ من نعمه ما لا يطمع بواجب حمده عليه وشكره *
وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي اعلن بالايان وباح وبين

المحظور في الشريعة والمباح ، وارشد الى ما حرمه الاسلام
وحلله ، ومهد سبل الهدى لمن استغواه الشيطان وضلله ،
وأوضح مراتب الاوقات ومنازلها ، وعرف تفاوت الايام
وتفاضلها ، وعلى اخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن ابي
طالب الذي مضت في الله عزماته ، وبيضت وجهه الدين
الحنيف موافقه ومقاماته ، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين
تكفلوا أمر الأئمة نصاً ، وانتضوا على منارها فلم يألوا جهداً
ولم يتركو احرصاً ، فالخاضر منهم يوفى علي من كان قبله ، واحزاب
الحق فرحين بما آتاهم الله من فضله ، وسلم عليهم أجمعين
سلاماً لا انقطاع لدوامه ، وشرفهم تشریفاً لا انفصام لابرامه ،
وأسنى ومجد ، وتابع وجدد

وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم كذا عيد الفطر
من سنة كذا بعد ان وفي الصيام حقه ، وحاز اجر من جعل
الله على خزائنه رزقه ، وبعد ان أفطر بحضرة الاولياء من
آله واسرته ، والمقدمون من رؤساء دولته والمتحيزون من
اوليائه وشيعته (١) ، وكان من نبا هذا اليوم ان امير المؤمنين

(١) وصف المقرئى سماط عيد الفطر نقلا عن بعض مؤرخى

لما ارتقب بروزه من قصوره ، وتجلي فأشرقت الارض بنوره ،
توجه الى المصلى قاضيا لسنة العيد . فكانت زعمة ظهوره
بالنظر وبالخبير البعيد . واستقل ركابه بالعساكر المنصورة التي
ابدت منظراً مفتنماً عجيباً . وجعلت اديم الارض بالخيول والرجل
محتجياً . وذخرت الانتقام ممن شق العصا . وتجاوزت في الكثرة
عدد الرمل والحصى . وزينت الفضاء بهيئتها . وردعت الاعداء

الفواطم فقال اذا ركب الخليفة لصلاة العيد تخلى قاعة الذهب للسماط
وينصب فيها مائدة من فضة قال في موضع اخر ان طولها ثلاثمائة ذراع
وعليها اواني الفضيات والذهبيات والسيني الحاوية للاطعمة الخاص
الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالامزجة
الطيبة فيفرش فوق ذلك السماط وعرضه عشرة اذرع الازهار ويرص
الخبز على حافتيه ويعمر داخل السماط على طوله باحد وعشرين طبقاً
في كل طبق احدى وعشرون ثنياً سميناً مشوياً وفي كل من الدجاج
والفراريج وفراخ الحمام ثلاثمائة وخمسون طائراً فيكون بقامة الرجل
الطويل ويسور شرائح الحلوى اليابسة ثم يسد خلل تلك الاطباق
بالصحن الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي مترعة
بالالوان الفاتحة من الحلوى فلا يبعد ان تناهز عدة الصحن المذكورة
خمسائة صحن ويرتب ذلك احسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى
حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير
على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيدية التي في عمامتها السمة

بهيبتها • وجمعت بين الطاعة وشدة لباس • وادرعت من
 من التقوى امتع جنة واحصن لباس • ولم يزل سائراً في
 السكينة والوقار • ناظراً للدنيا بالاحتقار ، والثرى بالجباه
 والشفاه مصافح ملثوم ، فهما موسومتان به ، وهو بهما موسوم •
 الى ان وصل الى مقر الصلاة ، ومحل المناجاة فصلى اتم صلاة
 واكملها ، وادائها احسن تأدية وافضلها ، واخاص في التكبير

ويلبس سواها من خزائن السكوات وكان يعمل بدار الفطرة قصران
 من حلوي في كل واحد سبعة عشر قنطاراً ففهما واحد يمضي به من
 طريق قصر الشوك الى باب الذهب والاخر يشق به بين الفصرين يحمله
 العتالون ينصب أحدهما في أول السماط والثاني في آخره وهما شكل مليح
 مدهونان بأوراق الذهب فاذا جلس الخليفة على السرير أمام المائدة
 قام على رأسه اربعة من كبار الاستاذين المحنكين واربعة من خواص
 الفراشين ثم يستدعي الوزير فيجلس عن يمينه ويستدعي الامراء
 المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجاسون على السماط كقيامهم
 بين يديه فيستولي على ذلك الممول الآكلون وينقل الى دار ارباب
 الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السماط اه •

أقول لا يستغربن الفارء هذا الوصف اذ جاء في مرثية للفقير

عمارة اليمنى ما يؤيد ذلك حيث قال يخاطب الفواطم

ولا حملتم قرى الاضياف من سعة ال

أطباق الا على الاكتاف والعجل

والتهيل ونصح في ارشاده ووعظه ، واعرب بيديع معناه
وفصيح لفظه، وعاد الى مثوي كرامته، وفلك امامته، محمود
المقام، مشمولاً بالتوفيتي في النقض والابرام * اعلمك أمير المؤمنين
ذلك لتذيعه فيمن قبلك، ويشكروا الله على النعمة الشاملة لهم
ولك . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * وكتب في اليوم
المذكور «

وقد قرأت للمترجم عدة سجلات بعث بها من ديوان
الانشاء بالبشارة بركوب الخليفة في عيد النحر بعضها ذكرها
المقريزي والبعض ذكر في القلقشندي اورد لكل واحد منهما
سجلا واقدم عليهما تمهيداً في ترتيب الموكب نقلا عن
القلقشندي قال :

اذا دخل ذو الحجة وقع الاهتمام بركوب الخليفة، فاذا كان يوم
العيد ركب على ما تقدم في عيد الفطر من الزي والترتيب والركوب
الى المصلي ، ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ومظلمته كذلك .
ويخرج الى المصلي خارج باب النصر ويخطب ثم يعود الى القصر كما
في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص ثم بعد دخوله الى القصر يخرج
من باب الفرج وهو باب القصر الذي كان مسامتا لدار سعيد السعداء الآن

فيجد الوزير راكبا على الباب المذكور فيترجل الوزير ويمشي في خدمته الى المنحر وهو خارج الباب المذكور وكان اذ ذاك فضاء واسعا لا بناء فيه وهناك مصطبة مفروشة فيطعم عايمها الخليفة والوزير وقاضي القضاة والاستاذون المحنكون واكابر الدولة ويكون قد سبق الى المنحر احد وثلاثون فصيلا وناقة للاضحية وييد الخليفة حربة وقاضي القضاة يمسك بأصل سنانها وتقدم اليه الاضحية رأساً رأساً فيجعل القاضي السنان في نحر الحيرة ويطعن به الخليفة في لبتها فتحز بين يديه حتى يأتي على الجميع ثم يسير رسوم الاضحية الى ارباب الرسوم المقررة . وفي اليوم الثاني يساق الى المنحر سبعة وعشرون رأساً ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك . وفي اليوم الثالث يساق اليه ثلاث وعشرون رأساً فيفعل بها كذلك (١)

(١) وقال المقريري وجملة ما محرره وذبحه الخليفة خاصة في المنحر وباب الساباط ألف وتسعمائة وستة واربعون رأساً تفصيله : مائة وثلاثة عشر ناقة . نحر منها في المصلي عميق الخطبة ناقة وهي التي تهدي وتطلب من افاق الارض للتبرك بلحمها . ونحر في المنحر مائة ناقة وهي التي يحمل منها للوزير وأولاده واخوته والامراء والضيوف والاجناد ويتصدق منها على الضعفاء والمساكين ثم على الفقراء في القرافة . ونحر في باب الساباط ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والحواشي اثنتي عشرة ناقة وثمان عشرة بقرة وخمس عشرة جاموسة . هذا الذي بذبحه الخليفة بيده ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفاً وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر

فاذا انتضى ذلك في اليوم الثالث وعاد الخليفة الى القصر خلع
 علي الوزير ثيابه الحمر التي كانت عليه يوم العيد ومنديلا بغير اليتمة والعقد
 المنظوم بالجوهر ويركب الوزير بالخلعة من القصر وبشق القاهرة بالشارع
 سالكا الى الخليج فيسير عليه حتى يدخل من باب القنطرة الى دار
 الوزارة وبذلك انفصال العيد . وأول بحيرة تنجر تقدد وتسير الى داعي
 اليمن فيفرقها علي المعتقدين من وزن نصف درهم الى وزن ربع درهم
 وباتي ذلك يفرق علي أرباب الرسوم في أطباق للبركة . واكثرهم تفرقة
 قاضي القضاة وداعي الدعاة على الطلبة بدار العدل وامتصدين بجوامع
 القاهرة . وفي اليوم الاول يمد السماط بقاعة الذهب على ما تقدم في عيد
 الفطر من ذير فرق

وهذه صورة ما اورده المقرئ

« أما بعد فالحمد لله الذي رفع منار الشرع وحفظ نظامه .
 ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه . وأطلع بخلافة أمير
 المؤمنين كبراك سعوذه . واظهر للموالم والمخالف عزة
 احزابه وقوة جنوده . وجعل فرعه سامياً نامياً واصله ثابتاً
 راسخاً . وشرفه علي الاديلن بأسرها وكان لعراها فاصما
 ولاحكامها ناسخاً * يحمدده امير المؤمنين أن ألزم طاعته الخليفة
 وجعل كراماته الاسباب الجديرة بالأماراة الخليفة . ويرغب اليه

في الصلاة على جده محمد الذي حاز الفخار اجمعه . وضمن الجنة
 لمن آمن به واتبع النور الذي انزل معه . ورفعته الى اعلى منزلة
 تحير له منها المحل . وارسله بالهدى ودين الحق فزهق الباطل
 وخذت ناره واضمحلت . صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه
 امير المؤمنين علي بن ابى طالب خير الامة وامامها . وحبر
 الملة وبدر تمامها . والموفى يومه في الطاعات على ماضي أمسه .
 ومن اقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المباهلة مقام نفسه .
 واختصه بأبعد غاية في سورة « براءة » فنادى في الحبح بأولها ولم
 يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسد مكانه . لانه قال لا يبلغ عنى
 الا رجل من اهل بيتي عملا في ذلك بما امر الله به سبحانه .
 وعلى الائمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه . والقائمين في سياسته
 خلقه بصريح الايمان ومحضه . والمحكمين من أمر الدين مالا
 وجه حله ولا سبيل الى نقضه . وسلم عليهم اجمعين سلاماً يتصل
 دوامه . ولا يخشى انصرامه . ومجدو كرم وشرف وعظم * وكتاب
 أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ستة
 وثلاثين وخمسةائة الذي تبليج فجره عن سيئات محصت . ونفوس
 من آثار الذنوب خلصت . ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت .

ومغفرة هنأت ونشرت * وكان من خبر هذا اليوم أن أمير
المؤمنين برز لكافة من بحضورته من اوليائه . متوجهاً لقضاء
حق هذا العيد السعيد وأدائه . في عترة راسخة قواعدها متمكنة .
وعساكر حجة تضيق عنها ظروف الامكنة . ومواكب تتوالى
كتوالي السيل . وتهاب هيبة مجيئه في الليل . باسلاحة تحسر لها
الابصار وتبرق . وترتاع الافئدة منها وتفرق . فمن مشرفي اذا
ورد تورده . ومن سمهري اذا قصد تقصده . ومن عمد اذا عمدت
تبرأت المغافر من ضمانها . ومن قسى اذا ارسلت بناها وصلت
الى القلوب بغير استئذانها * ولم يزل سائراً في هدى الأمامة
وانوارها . وسكينة الخلافة ووقارها . الى ان وصل الى المصلي
قدام المحراب (١) . وادى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقبيل

(١) لم يكن ليدخل مصلي العيد غير المعروفين من داعي الدعاء
الذي كان يجلس في الدهليز ويمر به المصلون فيأذن من يعرفه منهم
بالدخول للصلاة خشية من ان يفتك بالخليفة أحد من البجاة وكان
هناك مصليان غير هذه احدهما للرجال خاصة والثانية للنساء . قال المقرئ
فاذا قصد الخليفة المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح في المحراب
وسامته فيه وزيره والقاضي والداعي عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير
لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتصل منهم التكبير الى مؤذني مصلي الرجال
ومصلي النساء الخارجين عن المصلي الكبير

حجاب . ثم علا المنبر فاستوى على ذروته . وهلل الله وكبر واثنى
على عظمته . واحسن الى الكافة بتبليغ موعظته . وتوجه الى ما
اعد من البدن فنجره تكميلا لقربته . واتهى في ذلك الى
ما أمر الله عز وجل . وعاد الى قصوره المكرمة ومنازله المقدسة
وقد رضى الله عمله . وشكر فعله وتقبله . اعلمك أمير المؤمنين
بذلك لتشكر الله على النعمة فيه . وتذيعه قبلك على الرسم مما
يجاريه . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك من انشائه :

« اما بعد فالحمد لله الذى أعلی منار الملة . وشرف مواسم
أهل القبلة . وكفل أمير المؤمنين امر الايام . كما كفله امر
الأئام . فرأى الناس من حسن سيرته ايقاظا ما لم يروه مجازا
في المنام * وصلى الله على جدنا محمد نبيه الذى أرسله الى الناس
كافة ، فأطلع في ظلام الشرك شمس التوحيد وبدره . وآمن به
من شرح الله للاسلام صدره . وعصاه من ترمد فأثقل الوزر
ظهره . وبين عبادات ككرم أجرها وعظم ثوابها . وألزم
طاعات جعل الجنة للعاملين بها مفتحة أبوابها . وعلى أخيه
وابن عمه أمير المؤمنين على بن ابى طالب مظافره ومظاهره .

والمساوى في حكمه بين باطنه وظاهره . ولم يزل حاملاً على
 المحجة البيضاء جاءلاً ذلك من قربه وذخائره . قائماً بحقوق
 الله جاهراً في تعظيم حرمانه وشعائره . وعلى الأئمة من
 ذريتهما نجوم الارض وهداة أهلها . والواجبة طاعتهم على
 من في وعرها وسهلها . والذابين بالمشرفية عن حمى الشريعة .
 الذين متابعهم من اوجه ذريعة

وكتاب امير المؤمنين هذا اليك يوم كذا عيد النحر
 سنة كذا وهو يوم اظهر الله فيه قوة الدولة واقتدارها . وأوجب
 فيه رغبة ورهبة مسارعة النفوس المخالفة الى الطاعة وابتدارها .
 وذلك ان عسكر أمير المؤمنين توجهت الى قصوره الزاهرة .
 عند انفجار الفجر . وحافظت علي ما تحوزه من كريم
 الثواب وجزيل الاجر . واستنزلت الرحمة بروية امام الامة .
 واعدت الاخلاص في خدمته من أوفي الحرمان وأقوى
 الأذمة . واقامت الى ان برز امير المؤمنين والانوار الساطعة
 طوالعه . ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه ،
 وقصد المصلي في كتاب لجبهه (١) ومواكب للتعظيم مستوجبته ،

(١) يقال عسكر لجب بكسر الجيم اى عرمرم

وعزة تتبين في الشمائل والصفحات . وقوة يشهد بطيب وصفها
 أرج النفحات . قد غدت عددها محكمة . وخيو لها مطهمة . وذو ابها
 اذا ظميت كانت مقومة . واذا رويت عادت محطمة . تتقلد صفائح
 متى انتضيت انتصفت من الجائر الخائف . ومتى اقتضبت
 عملا كان اقتضاها مبيضا للصحائف . وفي ظلها معاقل للائدين
 وبجدها مصارع للمنابذين . وهي للدماء هوارق . وللهامات فوالق
 ولمستغلق البلاد مفاتيح . ولمستفتحها مغالق . ولما انتهى الى المصلى
 قضى الصلاة أحسن قضاء وأداها افضل تأدية . واستنزل
 رحمة لم تزل بصلاته متمادية . وانتهى الى المنبر فرقيه . وخطب
 خطبة من استخلفه الله فكان مراقبه ومتقيه . ووعظ
 ابلغ وعظ . وأبان عما للعامل بنصحه في الدنيا والآخرة من
 فائدة وحظ . وعطف على الاضاحى المعدة له فنجرها جريا
 في الطاعات على فعلها المتهادى . وأضحت تتوقع التكميل
 بانجازه وعيده في الاعادى . فالله يقضى بتصديقه . ويمن
 بتبجيله وتحقيقه . وعاد الى قصوره المكرمة مشكورا
 سعيه . مضمونا نفعه . مرضيا فعله . مشموله عبيده بما هو
 أهله - اعلمك امير المؤمنين ذلك فاعلم هذا واعمل به وكتب

في اليوم المذكور»

وقرأت للمترجم سجلات للبشارة بركوب الخليفة يوم
قطع الخليج آتى على ذكرها بعد التمهيد الآتى في وصف ذلك
للقلقشندي قال :

وفي زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادى على النيل قبل الوفاء
وانما يؤخذ قاعه ويكتب به رقعة للخليفة والوزير ثم ينزل بديوان
الرسائل في مسير معد له في الديوان ويستمر الحال على ذلك في كل
يوم يرفع رقعة الى ديوان الانشاء بالزيادة لا يطلع عليها غير الخليفة
والوزير وامره مكتوم الى ان يبقى من ذراع الوفاء وهو السادس عشر
اصبع او اصبعان فيوء من بأن يبيت في جامع المقياس تلك الليلة قراء
الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم ختم
القرآن الكريم في تلك الليلة هناك ويمد لهم السماط بالاطعمة الفاخرة
وتوقد عليهم الشموع الى الصبح فاذا أصبح الصبح واذن الله تعالى
بوفاء النيل في تلك الليلة طلعت رقعة ابن ابي الرداد الى الخليفة
ويحضر اليه بالقصر فيركب الخليفة في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة
والموكب العظيم الا انه لا يلبس التاج الذي فيه اليتيمة ولا يجعل المظلة على
رأسه في ذلك اليوم ويركب الوزير وراءه في الجمع العظيم على ترتيب الموكب
ويخرج من القصر شاقا القاهرة الى باب زويلة فيخرج منه ويسلك
الشارع الى ان يجاوز البستان المعروف بعباس عند راس الصليبية بالقرب

من الخاتمة الشيخونية الآن فيعطف سال كاعلى الجامع الطولوني والجسر
 الاعظم حتى يأتى مصر ويدخل من الصناعة (اى دار صناعة السفن)
 وهى يومئذ فى غاية العمارة وبها دهليز ممتد بمصاطب مفروشة بالحصر
 العبدانى موزر بها . ويخرج من بابها شاقا مصر حتى يأتى المنطرة المعروفة
 برواق الملك على القرب من باب القنطرة فيدخلها من الباب المواجه
 له والوزير معه ماشياً الى المكان المعد له ويكون العشارى الخاص
 المعبر عنه الآن بالحراقة واقفاً هناك بشاطىء النيل وقد حمل اليه من
 القصر بيت مثنى من العاج والأبنوس كل جانب منه ثلاثة اذرع
 وطوله قامة رجل تام فيركب فى العشارى المذكور وعليه قبة من
 خشب محكم الصنعة وهو وقبته ملبس صفائح الفضة المذهبة ثم يخرج
 الخليفة من دار الملك المذكورة ومعه من الاستاذين المحنكين من
 يختاره من ثلاثة الى اربعة ثم يطلع خواص الخليفة الى العشارى والوزير
 ومعه من خواصه اثنان او ثلاثة لا غير فيجلس الوزير فى رواق بظاهر
 البيت المذكور بعرايس من خشب مدهونة مذهبة بستور مسدلة
 عليه ويسير العشارى من باب المنطرة الى باب المقياس العالى على
 الدرج ويطلع الخليفة من العشارى فيدخل الى الفسقية التى فيها المقياس
 والوزير والاستاذون المحنكون بين يديه فيصلى هو والوزير كل منهما
 ركعتين بمفرده ثم يؤتى بالزعفران والمسك فى اناء فيتناوله
 صاحب بيت المال ويتناوله لابن ابي الرداد فيلقى نفسه
 فى الفسقية بثيابه فيتعلق بالعمود برجليه ويده اليسرى ويخلقه بيده

اليمنى وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرأون القرآن ثم يخرج على فوره راكباً في العشارى المذكور ثم يعود الى دار الملك ويركب منها عائداً الى القاهرة وتارة ينحدر في العشارى الى المقس (١) ويتبعه الموكب فيسير من هناك الى القاهرة ويكون في البحر ذلك اليوم نحو الف مركب مشحونة بالناس للتفرج واظهار الفرح . فاذا كان اليوم الثاني من التخليق اتى ابن الرداد الى الايوان الكبير الذي فيه الشباك بالقصر فيجد خلعة مذهبة بطيلسان مقور ويرفع اليه خمسة اكياس في كل كيس خمسمائة درهم مهياة له فيلبس الخلعة ويخرج من باب العيد وقد هيا له خمس بغال على ظهورها الاحمال المزينة بالحلى على ظهر كل منها راكب ويده احد الاكياس الخمسة المتقدمة الذكر ظاهرة في يده واقاربه وبنو عمه يحجبونه واصدقاؤه حوله وامامه جملان من النقارات السلطانية والابواق تضرب امامه والطبل وراءه مثل الامراء فيشق بين القصرين وكما مر على باب من ابواب القصر يدخل منه الخليفة أو يخرج نزل قبله ويخرج من باب زويله في الشارع الاعظم حتى يأتى مصر فيشق وسطها ويمر بالجامع العتيق ويجاوزه الى شاطيء النيل فيعدى الى المقياس بخلعته وما معه من الاكياس فيأخذ من الاكياس قدرا مقررا له ويفرق باقي ذلك على ارباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بنى عمه وغيرهم »

(١) المقس اسم جهة موقعها موقع جامع اولاد عنان اليوم لان النيل كان ينتهى الى هذه الجهة ولم تكن بولاق وقتها موجودة فانها انما حدثت في اوائل القرن الثامن الهجرى

وقال بمناسبة ركوب الخليفة لفتح الخليج وهو في اليوم
الثالث أو الرابع من يوم التخليق

«وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين يأخذ النيل
في الزيادة ويعمل في بيت المال موائد من التماثيل المختلفة من الغرلان
والسباع والفيلة والزراريف عدة وافرة منها ما هو ملبس بالعنبر ومنها
ما هو ملبس بالصندل مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب وكذلك يعمل
اشكال التفاح والاترج وغير ذلك وتخرج الخيمة العظيمة المعروفة
بالقاتول (١) فت نصب للخليفة في بر الخليج الغربي على حافته عند منظره
يقال لها السكرة على القرب من فم الخليج ويلف عمود الخيمة بديباج
احمر أو أبيض أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب فيها سرير الملك

(١) كان الصيوان المعروف بالقاتول من عمل الافضل شاهنشاه
ويقال انه كان مركباً من اربعة دهاليز واربع قاعات عدا القاعة
الكبيرة ومساحته الف الف ذراع واربعمائة ذراع خارجاً عن سرادقه
وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعاً ولما كمل عمله في
ايام الافضل ونصب تأذى منه الناس ومات رجلان فسمى بالقاتول
لاجل ذلك وما زال لا يضرب الا بحضور المهندسين وتنصب له اساقيل
عدة باخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه واقام هذا الثوب
في الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناعات عليه وما يضرب منه سوى
القاعة الكبيرة واربعة الدهاليز وبعض السرادق الذي هو سور عليه
لضيق المكان الذي يضرب فيه

مستندا اليه ويغشي بقرقوبي (قماش كتان ابيض) وعرانبه ذهب ظاهرة
ويوضع عليه مرتبة عظيمة من الفرش للخليفة ويضرب لارباب الرتب من
الامراء بحرى هذه الخيمة خيم كثيرة على قدر مراتبهم في المقدار والقرب
من خيمة الخليفة ثم يركب الخليفة على عادته في المواكب العظيمة بالمظلة
وتوابعها من السيف والرمح والالوية والدواة وسائر الآلات ويزاد فيه
أربعون بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة يكون المنفرون بهار كباننا
والمنفرون بالابواق النحاس مشاة ومن الطبول العظام عشرة طول
فاذا كان يوم الركوب حضر الوزير من دار الوزارة راكبا في هيئة
عظيمة ويركب حينئذ الى باب القصر الذي يخرج منه الخليفة ويخرج
الخليفة من باب القصر راكبا والاستاذون المنكون مشاة حوله وعليه
ثوب يسمى البدنة حرير مرقوم بذهب لا يلبسه غير ذلك اليوم والمظلة
بنسبته فيركب الاستاذون المنكون ويسير الموكب على الترتيب حتى
يأتى الى الجامع الطولوني ويكون قاضي القضاة واعيان الشهود جلوسا
يبابه من هذه الجهة فيقف لهم الخليفة وقفة لطيفة ويسلم على القاضي
فيتقدم ويقبل رجله التي من جانبه ويأتى الشهود امام وجه
فرس الخليفة ويقفون بمقدار اربعة اذرع عن الخليفة فيسلم عليهم ثم
يركبون ويسير الموكب حتى يأتى ساحل الخليج فيسير حتى يقارب
الخليفة الخيمة فيتقدمه الوزير على العادة فيترجل الخليفة على باب
الخيمة ويجلس على المرتبة الموضوعه له فوق السرير ويحيط به الاستاذون
المنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير كرسيه الجاري به العادة

فيجلس ورجلاه يطان الارض ويقف ارباب الرتب صفيين من سرير
 الملك الى باب الخيمة وقراء الحاضرة يقرأون القرآن ساعة زمانية فاذا فرغوا
 من القراءة استأذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة فيوء ذن لهم
 فيتقدمون واحدا بعد واحد علي مقدار منازلهم المقررة لهم وينشد كل
 منهم ما وقع له نظمه بما يناسب الحال فاذا فرغ آتى غيره وأنشدهما نظمه
 الى ان يفرغ انشادهم والحاضرون ينتقدون علي كل شاعر ما يقوله
 ويحسنون منه ما حسن ويوهون منه ما وهي فاذا انقضى هذا المجلس قام
 الخليفة عن السرير فركب الى المنطرة المعروفة بالسكره بقرب الخيمة والوزير
 بين يديه وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس الخليفة بمكان معد
 له منها ويجلس الوزير بمكان منها بمفرده ويجلس القاضي والشهود في
 الخيمة البيضاء الديبق فيطل منها استاذ من الاستاذين المحنكين فيشير
 بفتح السد فيفتح بالمعاول وتضرب الطبول والابواق من البرين وفي
 اثناء ذلك يصل السماط من القصر صحبة صاحب المائدة وعدها مائة
 شدة من الطيافير الواسعة في القواوير الحرير وفوقها الطراحات النفيسة
 وريح المسك يفوح منها فيوضع في خيمة وسبعة معدة لذلك ويحمل
 منها للوزير واولاده ماجرت به عاداتهم ثم لقاضي القضاة والشهود ثم
 الى الامراء علي قدر مراتبهم . وعلى أنواع الموائد من التماثيل المقدمة
 الذكرا خلا القاضي والشهود فانه لا يكون في موائدهم تماثيل فاذا
 اعتد ذلك في الخليج دخات فيه العشاريات اللطاف ووراءها
 العشاريات الكبار . وهي سبعة : الذهبي المختص بالخليفة والفضي والاحمر

والاصفر والاخضر واللازوردى والصقلى وهو عشارى انشاء تجار من
صقلية على الانشاء المعتاد فنسب اليه وعامها الستور الديقى الملون وفي
أعناقها الالهة وقلائد العنبر والخرز الازرق ويسير حتى يرسو على بر
المنظرة التي فيها الخليفة فاذا صلى الخليفة العصر ركب لا بساغير الثياب
التي كانت عليه في أول النهار ومظلة مناسبة لثيابه التي لبسها وباقي
الموكب علي حاله ويسير في البر الغربى من الخليج شاقا للبساتين حتى
يصل الى باب القنطرة فيعطف علي يمينه ويسير الى القصر والوزير
تابعه علي الرسم المعتاد فيدخل الخليفة قصره ويمر الوزير الى داره علي
عادته في مثل ذلك اليوم»

وهذه نسخ بعض السجلات التي وعدنا بايرادها :

« ان اولى ما نضاعف به الالبهاج والجدل . وانفتح فيه
الرجاء واتسع الامل . ما عم نفعه صامت الحيوان وناطقه ، واحداث
لكل احد اغتباطاً لزمه وآلى ان لا يفارقه ، وذلك ما من الله به
من وفاء النيل المبارك الذي تحيى به كل ارض موات ، وتكتسى
بعد اقشع ارها حلة النبات ، ويكون سبباً لتوفر الاقوات ، فانه
وفي المقدار الذي يحتاج اليه . فلتدع هذه المنة في القاصى والدانى
لتستعمل الكفاة بينهم ضروب البشار والتهانى ، ان شاء الله
تعالى »

وكتب ايضاً

من لطف الله الواجب حمده ، اللازم شكره وفضله ،
الذي لا يمل بشره ، ولا يسأم ذكره ، والذي استبشر به
الانام ، وتضاعف فيه الانعام ، ومثل الله الحياة به في قوله تعالى
«انما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض مما يأكل الناس والانعام امر النيل المبارك الذي يعم
النجود والتهاثم ، وتتفع به الخلائق وترتع فيما يظهره البهائم * وقد
توجه اليك بهذه البشرية فلان فاجره على رسمه في اظهاره
مجملاً ، وايصاله الى رسمه مكملًا ، واذاعة هذه النعمة على
الكافة ليتساهموا الاغتباط بها ، ويبالغوا في الشكر لله
سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها . فاعلم ذلك واعمل به ان
شاء الله تعالى »

وكتب ايضاً :

«ان أولى ما تحدث به ناقله وراويه . وتعجل المسرة به حاضر .
ورائيه . ما كانت الفائدة به شائعة لا تحيز . والنعمة ذائعة
لا يتخصص أحد بشمولها ولا يتميز . اذ كان علمه بتكاثر
الاقوات . وبها يكون التماثل في البقاء والتساوي في الحياة . وذلك

ما من الله تعالى به من وفاء النيل المبارك فانه انتهى في يوم
 كذا من سنة كذا الى ست عشرة ذراعاً وزاد أصبعاً من سبع
 عشرة ذراعاً وقد سيرنا أيها الأمير هذه البشري مع فلان
 اليك . وخصصناه بالورود بها عليك . فتلقها من الشكر بموجبه .
 واستقبل من الابتهاج والاعتباط ما يليق بها . واجعل الرسوم
 التي جرت العادة بتوظيفها لفلان بن الرداد محمولة من جهتك
 الى حضرتنا . لتولى اليه من جهتنا . فاعلم هذا واعمل به ان شاء
 الله تعالى . وكتب في اليوم المذكور «

وكتب في ذلك ايضاً :

«أما بعد فان أحق ما وجبت به التهنئة والبشري . وغدت
 المسار منتشرة تتوالى وتترى . وكان من اللطائف التي غمرت
 بالمنة العظمى . والنعمة الجسيمة الكبرى . ما استدعى الشكر
 لموجد العالم وخالقه . وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان
 وناطقه . وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذي يسره الله تعالى
 وله الحمد يوم كذا فان هذه العطية تؤدى الى خصب البلاد
 وعمارتها . وشمول المصالح وغزارتها . وتقضى بتضاعف المنافع

والخيرات . وتكاثر الارزاق والاقوات . ويتسائم الفائدة فيها
 جميع العباد . وتنتهي البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر
 وباد . فأذع هذه النعمة قبلك . وانشرها في كل من يتدبر عملا .
 وحثهم على مواصلة الشكر لهذه الالطاف الشاملة لهم ولك*
 فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

* * *

وقد عثرت للمترجم علي نسخة كتاب بعث به عن لسان
 الخليفة الحافظ لدين الله بمناسبة عيد النصر

وعيد النصر هذا من الاعياد التي اتخذها متأخرو الفواطم في
 القرن السادس تذكارا لخلاص الخليفة الحافظ من السجن وذلك
 ان ابا علي الملقب كتيقات بن الافضل لما استبد بالوزارة في اليوم
 السادس عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٤ وقبض على الحافظ وسجنه
 فاستمر في السجن الى ان قتل ابو علي في سادس عشر المحرم سنة ٥٢٦
 فاخرج من معتقله فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر وصار
 يعمل كل سنة . قال المقرئزي وكان الحافظ لدين الله لما سلم من يد
 ابي علي بن الافضل لما وزر له وخرج عليه عمل عيدا في ذلك اليوم
 وهو السادس عشر من المحرم من غير ركوب ولا حركة بل ان الايوان
 باق على فرشه وتعليقه من يوم عيد الغدير (كان يعمل عيد الغدير في
 ١٨ الحجية) فيفرش أحد مجالس الايوان احسن فرش وينصب للخليفة

مرتبة هائلة ثم يجتمع أرباب الدولة سيفاً وقلماً ويحضرون الى الايوان
فيخرج الخليفة راكباً الى المجلس فيترجل على بابهِ وبين يديه الخواص
فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس وحواليه
الامراء والاعيان وأرباب الرتب فيصعد قاضي القضاة على منبر نصب
له ويخرج من كفه كراسة تتضمن فصولاً كالفرج بعد الشدة بنظم مليح
يذكر فيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة وفرج
الله عنه واحداً فواحداً حتى يصل الى الحافظ وتكون هذه الكراسة
محمولة اليه من ديوان الانشاء فاذا تكاملت قراءتها نزل عن المنبر
ودخل على الخليفة ولا يكون عنده من الثياب اجل مما لبسه ويكون
قد حمل الى القاضي قبل خطابته بدلة مميزة يلبسها للخطابة ويوصل
اليه بعد الخطابة خمسون ديناراً

وقال في موضع آخر : عيد النصر وهو السادس عشر من المحرم عمله
الحافظ يفعل فيه ما يفعل من الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة
والتوسعة في النفقة. وكتب فيها بالقاسم علي بن الصيرفي الى بعض الخطباء :
« عيد النصر وهو أفضل الاعياد واسناها واعلاها . وادلها
على تفصيل الواصف اذا بلغ وتناهى . ونحن نأمرك ان تبرز في
يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين
وخمسة علي الهيئة التي جرت العادة بمثلها في الاعياد وتقرأ
على الناس الخطبة التي سيرناها اليك قرين هذا الامر بشرح

هذا اليوم وتفصيله . وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله .
وتعتمد في ذلك ما جرى الرسم فيه في كل عيد . وتنتهي فيه الى
الغاية التي ليس عليها مزيد . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى .
وقال المقرئ في الفصل الذي عقده لخزان الكسوات
عند الكلام على تفرقة الكساوي المختلفة على ارباب الدولة
بمناسبة الاعياد :

وكان يكتب في كل كسوة هي برسم وجوه الدولة رقعة من
ديوان الانشا . فما كتب به من انشاء بن الصيرفي مقترناً بكسوة عيد
القطر من سنة ٥٣٥

ولم يزل امير المؤمنين منعماً بالرغائب . مولياً احسانه
كل حاضر من اوليائه وغائب . مجزلاً حظهم من منائحه
ومواهبه . موصلاً اليهم من الجباء ما يقصر شكرهم عن
حقه وواجبه . وانك ايها الامير لا ولاهم من ذلك بجسيمه .
واحرامهم باستنشاق نسيمه . واخلقهم بالجزء الاوفى منه
عند فضه وتقسيمه . اذ كنت في سماء المسابقة بدرا . وفي جرائد
المناصحة صدرا . وممن اخلص في الطاعة سرا وجهرا . وحظي في
خدمة امير المؤمنين بما عطر له وصفاً وسير له ذكرا . ولما

اقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه ان يحسن الناس هياتهم
 ويأخذوا عند كل مسجد زيتهم . ومن وظائف كرم أمير
 المؤمنين تشریف اوليائه وخدمه فيه . وفي المواسم التي تجاربه .
 بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال . ولا يبقى
 بعدها طمع للآمال وكنت اخص الامراء المقدمين ونحو
 ذلك ... »

وحيث قد اتهمنا من مكاتبات ابن الصيرفي نذكر
 طرفا من عوائد الفواطم زيادة في التعريف بهم:
 قال القلقشندي نقلا عن ابن الطوير الذي كان معاصرا
 لهم تحت عنوان هيئة الخليفة في قصوره: « وكانت له ثياب
 يلبسها في الدور اكامها على النصف من اكام ثيابه التي يلبسها
 في المواكب . وكان من شأنه أن لا ينصرف من مكان الى مكان
 في القصر في ليل او نهار الا وهو راكب . ولا يقتصر في
 القصر على ركوب الخيل بل يركب البغال والحمير الاناث لما
 تدعوه الضرورة اليه من الجولان في السرايب (١) القصيرة

(١) لم يكن من عادة خلفاء الفواطم الخروج من قصورهم في
 غير ايام المواسم التي مر ذكرها . ولذلك نرى ابن الصيرفي يغالى في

والظلوع على الزلاقات الى اعلى المناظر والمسكن . وله في الليل
نسوة برسم شدم يحتاج اليه ركوبه من البغال والحمير . وفي كل محلة
من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق
في الليل . ويبيت خارج القصر في كل ليلة خمسون فارساً للحراسة
فاذا اذن بالعشاء الآخرة داخل قاعة الذهب وصلي الامام
الراتب فيها بالمقيمين من الاستاذين وغيرهم وقف علي باب القصر
أمير يقال له «سنان الدولة» مقام أمير جاندار الآن فاذا علم بفراغ
الصلاة أمر بضرب النوبة من الطبول والبوقات وتوابعها على

البركات التي تنزل على الرعية برويتهم وكان الخلفاء متى أحبوا الخروج
من قصورهم للتنزه اما في البساتين المجاورة القاهرة او للتفرج على
الخليج مدة زيادة النيل او الذهاب للجامع الازهر في ليالي الوقود
يساكون اليها في سرايب مبنية تحت الارض راكبين حميراً قصيرة
يشدها لهم النساء

وقد عثر منذ سنتين بعض سكان حارة بين السيارج بينما كان يحفر
بئراً في منزله على سرداب من هذه السرايب ولما دعيت لمشاهدته
ونزلت فيه وجدته قبواً منخفضاً عن ارض الحارة بنحو عشرة
امتار يتجه من الشرق الى الغرب وسلكت فيه قليلاً فعرفت انه
السرداب الذي كان يؤدي بالسالك الى منظره اللؤلؤة التي كانت على
حافة الخليج في هذه الجهة

طرق مستحسنة ساعة زمانية ثم يخرج استاذ برسم هذه الخدمة
 فيقول أمير المؤمنين يرد علي سنان الدولة السلام فيغرس سنان
 الدولة حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب
 ودار حول القصر سبع دورات . فاذا انتهى ذلك جعل على الباب
 البوابين والفراشين وأوى المؤذنون الى خزائن لهم هناك وترى
 السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين عند السيوفين (قبلى الصاغة
 الحالية) فينقطع المسار من ذلك المكان الى ان تضرب النوبة
 سحراً قريب الفجر فترفع السلسلة ويجوز الناس من هناك
 قال واما سيرهم في رعيتهم واستمالة قلوب مخالفيهم فكانوا
 يقبلون على من يمد عليهم من أهل الاقاليم جل اودق ويقابلون
 كل أحد بما يليق به من الاكرام ويعوضون ارباب الهدايا باضعافها
 وكانوا يببالغون في احترام أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من
 اظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ولا يمنعون من اقامة
 صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم في ذلك
 بذكر الصحابة رضوان الله عليهم (١) ومذاهب مالك والشافعي

(١) كان الفاطميون في اول دخولهم مصر حملوا المصريين على
 الدخول في مذهبهم . قال المقرئى وصار صوم شهر رمضان والفطر

واحمد ظاهرة الشعائر في مملكتهم بخلاف مذهب ابي حنيفة
ويراعون مذهب مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه
وقد رأيت ان أختم هذه المقدمة التي طالت بالرغم عنى

على حساب لهم فأشار الشهود على القاضي ان لا يطلب الهلال لان
الصوم والفطر على الرؤية قد زال فانقطع طلب الهلال من مصر وصام
القاضي وغيره مع الفائدة جوهر كما يصوم وافطروا كما يفطر . قال وفي
سنة ٣٩٥ قرىء سجل بأن يؤذن لصلاة الظهر في اول الساعة السابعة
ويؤذن لصلاة العصر في اول الساعة التاسعة . وفي صفر من هذه السنة
كتب على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه
وعلى ابواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر سب السلف ولعنهم ونقش
ذلك ولون بالاصباغ والذهب وعمل ذلك على ابواب الدور والقياسر
واكره الناس على ذلك فتسارعوا الى الدخول في الدعوة وفي ربيع
الآخر من سنة ٣٩٦ أمر الحاكم بمحو ما كتب على المساجد ونحوها
من سب السلف وقرىء سجل على المنابر : (يصوم الصائمون على حسابهم
ويفطرون . ولا يعارض اهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون .
صلاة الخمس الدين فيما جاءهم فيها يصلون . وصلاة الضحى وصلاة
التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون . يخمس في التكبير على
الجنائز الخمسون . ولا يمنع من التربع عليها المربعون . يؤذن : « حي على
خير العمل » المؤذنون . ولا يؤذى من بها لا يؤذنون . ولا يسب احد السلف .
ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف . والحالف منهم بما حلف . لسلك
مسلم مجتهد في دينه اجتهاده . والى الله ربه معاده . عنده كتابه وعليه حسابه)

بخطبة ألقاها المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر على
جماعة من أمراء العرب الذين جاءوا معه من المغرب أوردها
لغرضين : الأول لأنها تبين مقدار عناية الراعي بالرعية ،
والثاني لاشتمالها على نصائح مفيدة ووصايا صالحة . وهي هذه
نقلا عن المقرئ قال :

« ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة
من شيوخ كتامة فدخلوا عليه في مجلس قد فرش باللبود
وعليه جبة وحوله أبواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين
يديه دواة وكتب فقال :

يا أخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد
فقلت «لأم الأمراء» - وانها الآن بحيث تسمع كلامي - أترى
أخواننا يظنون انا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب وتقلب
في المثلث والديباج والحريز والفنك والسمور والمسك
والخمر والقباء كما يفعل ارباب الدنيا ؟ . . ثم رأيت ان انقذ
فاحضركم لتشاهدوا حالي اذا خلوت دونكم واحتجبت
عندكم واني لا افضلكم في أحوالكم الا بما لا بد لي منه من
دنياكم وبما خصني الله به من امامتكم . واني مشغول بكتب

ترد على من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي . واني لا اشتغل
بشيء من مسلاذ الدنيا الا بما يصون ارواحكم ويعمر بلادكم
ويذل اعداءكم ويقمع اضدادكم . فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم
مثل ما أفعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فيزع الله النعمة عنكم
وينقلها الى غيركم . وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل اليّ كتحتني
عليكم نيتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل . وأقبلوا
بعدها على نساءكم والزمو الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا
الى التكثر منهن والرغبة فيهن فينغص عيشكم وتعود المضرة
عليكم وتمهكوا ابدانكم وتذهب قوتكم وتضعف نمازكم .
فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الي نصرتكم
بأبدانكم وعقولكم . واعلموا انكم اذ لزمتم ما امركم به رجوت
ان يقرب الله علينا امر المشرق (١) كما قرب امر المغرب بكم .
انهضوا رحمكم الله ونصركم »

تحريراً بالقاهرة في مارس سنة ١٩٠٥ على بهجت

(١) يشير بذلك الى بلاد الشام فانه كان مشغلا بفتحها يومئذ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الانسان ابتداء منه بالا حسان اليه *
وبصره مر اشده تميما للنعمة عليه * وعلمه البيان ليتهدي به
الى طريق الصواب * وأرسل اليه الرسل بالاعذار والانذار
لتكون الحججة عليه مكملة الايجاب * وتكفل له بادرار الارزاق
وأثامه من المن فوق الاستحقاق ، ووعدده عن الحسنى بعشر
توسعا في الفضل * وتوعدده عن السيئة مثلا بمثل * وصلى الله
على أفضل الانبياء دينا وملة * وخيرهم شريعة وقبلة * محمد
خاتم النبيين * وسيد المرسلين * الذي ابتعثه الى الناس اجمعين *
وخصه باللسان العربي المبين * ومنحه القرآن الذي دحض
بفصاحته حجج المضلين * وأخضع ببلاغته رؤس المشركين
وأظهر له بعجزهم عنه فضلا كبيرا * وتحداهم به فقال « قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا

يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» * وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي كان له اخا ووزيرا، ومعينا في الشدائد وظهيرا * وحل من الاختصاص بشرف الامامة محلا نفيسا، وقال فيه رسول الله صلى الله عليهما « انت مني بمنزلة هرون من موسى » * وعلى الأئمة من ذريتهما الاطهار، المعصومين من المآثم والاوزار * النافع ولاؤهم يوم تتمنى الجنة ويفرق من النار * الذين لا تخلو الدنيا منهم طرفة عين (١) ولا ينكر فضلهم الا من رغب عن الصدق الي المين * وسلم عليهم أجمعين تسليما، وزادهم الى يوم القيامة تشريفا وتعظيما

(١) كان الفواطم من ذلالة الشيعة على مذهب الاسماعيلية القائلين بامامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصية منه وبأن الامامة موقوفة على اناس معينين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق وبأن الجزء الالهى يحل في الائمة بعد علي بن ابي طالب وانهم بذلك استحقوا الامامة بطريق الوجوب

ولما ملك الفاطميون مصر سنة ٣٥٨ جهروا بمذهب الاسماعيلية وبثوا دعواتهم فيها فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها وكانت لهم مجالس خصوصية يختلف اليها في ايام معينة الرجال وفي ايام اخرى النساء لسماع الدعوة ويأخذون عليهم العهد بكتهم اسرارهم كما تراء مفصلا بعض التفصيل في غير هذا الموضوع من الكتاب

اما بعد فاني وجدت الله سبحانه قد جعل الخليفة أطواراً
 يفتقر بعضها الى بعض * ويكون تباين مراتبها ومنازلها سبباً
 لعمارة الارض * فجعل الانبياء أعلى الآدميين محلاً وشأناً *
 والأئمة من بعدهم أنفخهم رتبة وارفعهم مكاناً * والملوك
 الاسلاميين بعد ذلك أشرفهم منزلة واعلام سلطاناً، ووزراءهم
 وكتابهم الناهضين باعبائهم، والموازين لهم في رخائهم وولائهم
 أسمحهم ذكراً وارجحهم ميزاناً * ورتبهم بعد ذلك مراتب
 تتفاوت فيها اقدارهم * وتتباين منازلهم واخطارهم * اتقانا للحكمة
 الالهية * واظهارها لها في ترتيب هذه البرية

ولما رأيت اولى الفطر الصحيحة * والعقول الرجيحة * قد
 سبقوا الى النظر في سائر العلوم ووضعوا فيها المصنفات * ونظموا
 ذكرها في الكتب المؤلفات * ثم انتقلوا عن ذلك الى قوانين
 الأشياء فقررروا في كل منها ما كان اصلاً يعتمد عليه * ونهوا
 عما كان فساداً لنظامها او أدى اليه * وخالفوا بين احكام تلك
 التصنيفات * لاختلاف الازمنة وتباين البلاد والاقوات *
 فوجدتهم قد صنفوا في كتابة الخراج كتباً كثيرة * وعنوا
 بكتابة الجيش عناية كبيرة * فألف كل من العراقيين والمصريين

حتى ذلك ما وصلت اليه طاقته * واقتضاه ما اوجبه وقته * والبلد
 الذي يحتله . فاما صناعة الشعر وذكرك بديعه وسائر انواعه وتقاسيمه
 فقد اكثر كل منهم فيه المقال * وتوسع في تصنيفه واطال *
 ورايتهم اهملوا الكلام في الكتابة الجميلة قدراً * النبيه ذكراً *
 الرفيعة شاناً * العلية مكاناً * التي هي كتابة حضرة الملك المشتملة
 على الانشاء الى ملوك الدول والمكاتبة عنه الى من قل من
 الامم وجل ، وكيف يجب ان يكون متوليها وما يخصه من
 الاخلاق والادوات وما يجب ان يكون فيه من الفضائل *
 وان يجتنبه من القبائح والرزائل * وكيف ينبغي ان تكون
 امور تباعه ومعينيه * واي الحالات ينبغي ان يكون عليها
 ديوان الرسائل الذي يتولاه وينظر فيه * فلم يذكروا من ذلك
 حقيقاً ولا جليلاً * ولا شرحوا منه كثيراً ولا قليلاً * ومن
 الممنهم بصناعة الكتابة فانما تكلم على قوانين بعض امورها
 ولم يلم بشيء مما ذكرته واكثرهم حشا كتبه الموضوعه لذلك
باللغة والنحو والتصريف فخرجت عن الغرض المقصود لان
لكل نوع من هذه الانواع كتباً مفردة تستغرق ما يوثق به
في هذه المؤلفات وتشتمل على اضعافه فالتاسه من هناك اولى *

وطلبها من معدنها اجدر وأحرى

ولما وجدت المتقدمين قد تركوا ذلك واهملوه * واضاعوه
على ممر السنين واغفلوه * علمت ان الله تعالى قد ذخّر
فضيلة تصنيفه واظهاره * ومنقبة بروزه الى الوجود واشتهاره *
لهذه الايام الزاهرة العادلة المضيئة السيدية الاجاية الافضية (١)
التي رفعت الجور عن الامم * ومالكت فضيلتي السيف والقلم *
واستولت على غايات المفاخر * واستتبت بغرر المناقب

(١) قدم المؤلف هذه الرسالة الى الوزير ابى القاسم المنعوت
بالافضل شاهنشاه بن امير الجيوش . وهالك ملخص ترجمة حياته كما وردت
في كتاب شذرات الذهب

وفى اي سنة ٥١٥ مات الافضل أمير الجيوش شاهنشاه ابوالقاسم
ابن أمير الجيوش بدر الجمالى الارمنى كان في الحقيقة هو صاحب الديار
المصرية ولى بعد ابيه وامتدت ايامه وكان شهماً مهيباً بعيد الغور فخل
الراى ولى وزارة السيف والقلم للمستعلى ثم للامر وكان معه صورة
بلا معنى وكان قد اذن للناس في اظهار عقائدهم وامات شعار دعوة
الباطنية فقتلوه لذلك وكان مولده بعكا سنة ٤٥٨ وخلف من الاموال
ما يستحي من ذكره . وثب عليه ثلاثة من الباطنية فضربوه بالسكاكين
فقتلوه وحمل باخر رمق . وقيل ان الامر دسهم عليه بتدبير ابى عبدالله
البطائحي الذي وزر بعده ولقب بالمأمون اه

والمآثر * ووجب ان تنتج فيها الافكار العقيمة * وتظهر لها
اسرار الفضل المكتومة * فاستخرت الله تعالى وتوكلت عليه *
وعولت على تصنيف هذا الكتاب وايداعه ما تصل القدرة
اليه * من انواع الترتيبات وفنون الفضايل * وسميته : « قانون
الرسائل » وجعلته ابوابا وفضولا وبينت الامر فيه على ما يقتضيه
حكم البلاد المصرية والامر المتعارف فيها الآن دون غيره
من الاوقات والله المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل

(فصل في الغرض المقصود بهذا الكتاب)

الغرض بهذا الكتاب ان يكون قانونا يعرف به من يجب
ان يولى رياسة ديوان الرسائل وتقدمته ومن يجب ان يكون
تلوه في المنزلة من المستخدمين فيه من الكتاب واحدا واحدا
من الخدام الذين لا غنى عنهم * والصفات التي ينبغي ان يكون
عليها كل واحد منهم * والطرق التي اذا سلكت في هذا
الديوان ادت الى ضبط اموره وامن معها من اختلال شىء
منها وفساد يدخل عليها وسهل وجود ما يلتمس من علم امور
تقادم عهدتها وبعدها وازمنتها ويجب ان يكون هذا الكتاب

مخلداً في ديوان الرسائل يقتدى به كل من يخدم فيه (١)

(١) قال الفلقشندي : قد كان ديوان الانشاء في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له باشهر الانواع التي تصدر عنه لان الرسائل اكثر انواع كتابة الانشاء واعمها وربما قيل ديوان المكاتبات ثم غلب عليه هذا الاسم واشتهر به واستمر عليه الى الآن وقال ايضاً ان هذا الديوان اول ديوان وضع في الاسلام وذلك ان النبي صلعم كان يكتب امرائه واصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكتبونه وكتب الى من قرب من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام وبعث اليهم رسله فبعث عمرو بن امية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وعبدالله بن حذافة الى كسرى ابرويز ملك الفرس ودحية الكلبي الى هرقل ملك الروم وحاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس صاحب مصر

وقال المقرئزي تحت عنوان ديوان الانشاء والمكاتبات : وكان لا يتولاه الا اجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف وتسلم اليه المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها على الخليفة وهو الذي يأمر بتزيلها والاجابة عنها والخليفة يستشير في اكثر اموره ولا يحجب عنه متى قصد المتول بين يديه وهذا امر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالى وكان جاريه مائة وخمسين ديناراً في الشهر وهو اول ارباب الاقطاعات وارباب الكسوة والرسوم ولا سبيل ان يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه احد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وفراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواة وهي من اخص الدوى ويحملها استاذ من استاذي الخليفة

ويستضيء بهدايته ويحتذى امثله وان يؤخذ المستخدمون في
الديوان بفهمه وبحفظه

(فصل في المنفعة بهذا الكتاب)

المنفعة بهذا الكتاب عظيمة القدر جليلة الخطر واكثر
الناس حفا فيها. واجز لهم نصيباً منها الملك لانه اذا تتبع ما فيه
واستخدم لكتابة حضرته من يشهد هذا الكتاب باستصلاحه
لها وكان جامعاً للخلال التي شرط وجوب كونها فيه امن
بذلك من اختلال امور كثيرة من دولته * واضطراب اسباب
جمة من مملكته * ودخول العيب والنقيصة على من يختاره
خدمته * ثم يتتفع بهذا الكتاب اذا جعل بحيث استقر مخزونا
بديوان الرسائل للقراءة فيه وتدبره كل من تصفحه ويعمل
بمقتضاه على مرور السنين وكرور الاحقاب والاعوام فيكون
كالعلم لهم والمهذب لاخلاقهم والهادي لهم الى سنن الصواب
الذي قد درست معالمه وتنوسيت احكامه ويوشك ان لم
يضبط في هذا الكتاب ويقتنى من معارفه (كذا) ان يجهل
دفعة واحدة وتطمس آثاره جملة

(فصل في الاحوال التي يجب ان يكون عليها رئيس هذا الديوان
وما ينبغي ان يكون حاصله من العلوم والمعارف والاخلاق وما يرجى
من الانتفاع بالمصالح ويخشى من ضرر ضده)

اول ما يجب ان يكون رئيس ديوان الرسائل ومتولى
الكتابة عن حضرة الملك ذادين وورع وامانة فانه بمنزلة كبيرة
ورتبة خطيرة يتحكم بها في ارواح الناس واموالهم لانه لو زاد
اذنى كلمة او حذف ايسر حرف او كتتم شيئا قد علمه او تأول
لفظا بغير معناه او حرفه عن جهته ادى ذلك الى ضرر من
لا يستوجب الضرر ونفع من لا يستوجب النفع بل ربما ضرر من
يجب نفعه ونفع من يجب الاضرار به وموه على الملك حتى
يشكر المذموم ويذم المشكور فمتى لم يكن له دين يحجزه عن
ارتكاب المآثم . وورع يزرعه عن احتقاب المحارم . وامانة لا تمتد
يدها الى رشوى تحسن له الدخول في المسالك المذمومة .
ونزاهة نفس تصدقه عن الشهوات الموردة له الى الموارد المكرهه .
وقعت الدولة منه في ورطة شنعاء . وداهية دهباء . وكان الضرر
بمكانه اكثر من الانتفاع ولم يكن الا وبالاعلى الملك لانه
يحسن له غير الحسن ويقبح له غير القبيح ويزكي من لا خير فيه

ذادين
ورع
امانة

ويذم من لا تدم مساعيه • ويضع الاشياء في غير مواضعها
 فيهد بقلمه مالا تبنيه السيوف والرماح في السنين المتطاولة *
 ويجب ان يكون دينه الاسلام لانه من الملك بمنزلة الوزير
 والوزير مشتق من الموازرة والموازرة هي المساعدة والمعاونة
 والمظاهرة ولا يجب ان يتخذ لهذا الامر من يخرج عن دين
 الاسلام لقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
 والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم
 ان الله لا يهدي القوم الظالمين » فاول ما يتجنب الملك من نهى
 الله جل جلاله وتقدست اسمائه عن اتخاذه ولياً بل الواجب
 على الاطلاق وخاصة بحكم الوقت الحاضر ان لا يطلع على أسرار
 من يخالف شريعة الاسلام لقرب دار العدو خذله الله وأباده (١)
 وان من الفطرة التي جبل كل أحد عليها حنين كل شخص
 من الناس الى من يرى رأيه ويدين بدينه وهذا امر يجده
 كل أحد في نفسه ومع ذلك فان كاتب الرسائل احوج الناس
 الى الاستشهاد بكلام الله تعالى في اثناء محاوراته وفصول

(١) يشير الى كثرة اغارات الفرنج على سواحل بلاد الشام وتملكهم
 أكثر مدنها وانقطاع دعوة الفاطميين منها في اواخر القرن الخامس الهجري

مكاتباته والتمثل بنواهييه واوامره . والذكر لقوارعه ووزواجره .
وهو حلية الرسائل وزينة الانشآت والذي يشدقوى الكلام .
ويثبت صحته في الافهام . فمتى خلت منه كانت عاطلة من
المحاسن عارية من الفضائل لانه الحججة التي لا تدحض . والحقيقة
التي لا ترفض . فاذا كان الكاتب من الذمة لم يكن لديه من ذلك
شيء وأتت كتيبه مغسولة من أفضل الكلام . وخالية مما يتبرك
به أهل الايمان والاسلام . ومقصرة عن رتبة الكمال ومنسوبة
الى العجز والاختلال . فان تعاطى الكاتب الذي حفظ شيء منه
وكتبه فقد أبيضت حرمة كتاب الله تعالى وانتهكت وامكن
منه من يتخذه هزوا ولعبا والله سبحانه يقول « في كتاب مكنون
لا يمسه الا المطهرون » فقد وضع انه لا يجوز ان يرقى الى هذه
الرتبة الا مسلم ومع ذلك فيجب ان يكون متمذهاً بالمذهب
الذي عليه الملك ليكون اتق جيباً وانصح غيباً فان المسلمين
وان جمعهم كلمة الاسلام فقد اختلف كل واحد منهم بمذهب
يبين به بعضهم بعضاً حتى حدث بذلك بينهم من التباعد
والتنافر قريب مما بين المسلمين والمشركين (١) فكما وجب انه

(١) يقصد باختلاف المذاهب أهل السنة والشيعة

يكون المؤهل لهذه المرتبة مسلماً كذلك يجب ان يكون على مذهب الملك الذي اختص به من بين مذاهب المسلمين ليكون مجتهداً في خدمته مبالغاً في نصيحته يحضه الرأي عن صفونية لا يخالطه كدر و خلوص محبة لا يشوبه مدق ويكون الملك قد أحسن نفسه الاختيار وأجاد لدولته النظر وأراح نفسه من كافة التحفظ منه والحذر له (١) * ويجب ان يكون من يختار

(١) نقل المقرئ عن بعض مؤرخي الفواطم أنه كان من بين رجال دولتهم من يسمونه بداعي الدعوة من شروطه ان يكون عالماً بجميع مذاهب أهل البيت ووظيفته أخذ العهد على من ينتقل الى مذهبهم وكان له من النقباء اثني عشر نقيباً وفي سائر البلاد نواب عدة وكانت دعوتهم مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة وعددها تسع دعوات يستدرج فيها الداعي المدعو شيئاً فشيئاً حتى ينتقل الى مذهبهم وهذه هي صفة العهد الذي يوءخذ على المدعو وهو ان الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه: جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه و ذمته رسوله وانبيائه وملائكته وكتبه ورسوله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق انك تستر جميع ما تسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من امري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذي عرفت اقرارى له ونصحى لمن عقد ذمته وامور اخوانه واصحابه وولده واهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصتهم له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر منه شيئاً قليلاً ولا كثيراً ولا شيئاً يدل عليه الا ما طلقت

لهذه المرتبة ممكنا من عقله فان العقل أس الفضائل وأصل المناقب
ومن لا عقل له فلا انتفاع به . وكيف لا يكون كذلك وهو
المستشار في كبار الامور . والمشارك في النظر في سداد

لك ان تتكلم به وأطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل في
ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه . جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل
نعم فيقول المدعو نعم ثم يقول الداعي له والصيانة له بذلك واداء الامانة
على الا تظهر شيئا أخذ عليك في هذا العهد في حياتنا . ولا بعد وفاتنا .
ولا في غضب . ولا في حال رضا . ولا على رغبة . ولا في حال رهبة . ولا عند شدة
ولا في حال رخاء . ولا على طمع . ولا على حرمان . تلقى الله على الستر
لذلك والصيانة له على الشرائط الميمنة في هذا العهد . وجعلت على نفسك
عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان تمنعني
ومن اسميه لك واثبته عندك مما تمنع منه نفسك . وتصح لنا ولوليك
ولي الله نصحا ظاهرا وباطنا فلا تخن الله ووليه ولا احد من اخواننا
وأولياتنا ومن تعلم انه منا بسبب في أهل ولا مال ولا رأى ولا عهد
ولا عقد تتوالى عليه بما يبطله فان فعلت شيئا من ذلك وأنت تعلم انك
قد خالفته وأنت على ذكر منه فأنت بريء من الله خالق السموات
والارض الذي سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك
ودنياك واخرتك وتبرا من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين
الكروبيين والروحانيين والكلمات التامات والسبع المثاني والقرآن
العظيم . وتبرا من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل
دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضي الله عنه

الشعور . وانما كلام المرء ورأيه علي قدر عقله فاذا كان تام العقل
كامل الرأي ووضع الاشياء في مكاتبته ومخاطباته مواضعها واتى

وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا يينا
يعجل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التي ليس لله
فيها رحمة . وانت بريء من حول الله وقوته ملجأ الى حول نفسك وقوتك
وعليك لعنة الله التي لعن الله بها ابليس وحرم بها عليه الجنة وخلده في
النار ان خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان .
ولله عليك ان تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة حجاً واحباً ماشياً حافياً
لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك . وكل ما تملك في الوقت الذي تخالف
فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يا جرك
الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة . وكل مملوك لك من ذكر أو
انثى في ملكك أو تستفيده الى وقت وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك
فهم أحرار لوجه الله عز وجل . وكل امرأة لك أو تزوجها الى وقت
وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك فهن طوالق ثلاثاً بقة طلاق الحرج
لا مشوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة . وكل ما كان لك من أهل
ومال وغيرهما فهو عليك حرام . وكل ظهار فهو لازم لك . وأنا المستحلف
لك لا مامك وحجتك وانت الخائف لهما . وان نويت أو عقدت أو اضمرت
خلاف ما أحملك عليه وأكلفك به فهذه اليمين من أولها الى آخرها
مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت
يني وبينك قل نعم فيقول نعم . ولهم مع ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها
خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل . اه

بالكلام من وجهه وخاطب كل أحد عن السلطان بما تقتضيه
الحال التي يكون عليها فيشد ما كانت الشدة نافعة ويلين حين
يكون الى اللين محتاجا، ويونج من لا يقتضى فعله أكثر من
التوبيخ، ويذم من تعدى الى ما يستوجب الذم، ويأتي باصناف
المكاتب التي يقتضيها اختلاف الحالات واقعة مواقعها، صائبة
مراميها * ويجب ان يكون من البلاغة والفصاحة الى
أعلى رتبة وأسنى منزلة وبحيث لا يوجد أحد في عصره يفوقه
في هذا الفن فانه لسان السلطان الذي ينطق به ويده التي بها
يكتب ورب كاتب بليغ أصاب الغرض في كتابته فاغنى صاحبه
عن المكتائب، واعمل القلم فكفاه اعمال البيض القواضب .
فاذا كان جيد الفطرة صائب الرأي، حسن الالفاظ تتأني له
المعاني الجزلة . فيجلوها في الالفاظ السهلة (١) . ويختصر بحيث

(١) كتب بشر بن ابي كبار البلوي من كتاب صنعاء يذم انساناً ما بعد فان من
الناس من تحمل حاجته اهون من فحش طلبه ومنهم من حمل عدوانه
اخف من ثقل صداقته ومنهم من افراط لائمه احسن من قدر مدحته
وان الله خلق فلانا ليغم الدنيا ويقدر به اهلها فهو على قدره فيها
من حجج الله على اهلها فاسأل الذي فتن الارض بحياته وغم اهلها ببقائه
ان يدبل بطنها من ظهرها والسلام

يكون الاختصار كافياً ويطيل حين لا يجد من الاطالة بدأ
ويهدد فيملاً التملوب روعة ويشكر فيلقى على النفوس جذلاً
ومسرة . ثم ان كتب الى ملك كبير ، وذى رتبة خطير ،
عظم مملكة صاحبه ونخمها في معاريض كلامه من غير ان
يوجد ان ذلك قصده واستصفي نية المكاتب واستجاب

ومن كتاب لبشر ايضاً

اما بعد فانك تسألني عن عبدالله كأنك هممت به اذ سرك القدم
عليه فلا تفعل يرحمك الله فان الطمع بما عنده لا يخطر على القلب الا
من سوء التوكل على الله عز وجل وان رجاء ما في يده لا يكون الا
بعد اليأس من روح الله لانه يرى الاقتار الذي نهى الله عنه هو الاسراف
الذي يعذب الله عليه وان الصدقة منسوخة وان الضيافة مرفوعة وان
ايتار المرء على نفسه عند الخصاصة احدى الكبائر الموجبة الهلكة
وكان لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الاولى الذين قطع الله دابرهم
ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وكان الرجفة لم تصب اهل مدين
عنده الا لسخاء كان فيهم ولم يهلك الريح العقيم عادا الا لتوسع ذكر
عنه وهو يخاف العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعد
نفسه الفقر ويأمرها بالبخل خيفة ان ينزل به بعض قوارع الظالمين
ويصيبه ما اصاب القوم المجرمين فاقم يرحمك الله على مكانك واصطبر
على عسرتك وتربص به الدوائر عسى الله ان يبدلنا واياك خيراً منه
زكوة واقرب رحماً والسلام اه . وصف جزيرة العرب للهمداني

مودته في اثناء الخطاب وان لم يظهر ان ذلك مطلبه بل
يريه ان الحظ والنصيب الأوفى اذا تم ذلك معه * وينبغي ان
يكون مضطعاً بفنون الكتابة عالماً باصولها وفصولها مستقلاً
باعبائها يفوق في النهضة جميع المستخدمين معه والمعينين له
لانه الاصل الذي هم فروعهم والمقدم الذي عليه تعرض كتبهم
وتأليفاتهم . والى تصفحه وتقدمه ترجع انشأتهم وتصنيفاتهم .
فمن الواجب ان يكون أتم منهم دراية . واصح علماً ورواية .
واخبر بصائب المعاني ومستحسن الالفاظ لينتقد ما يعملونه
نقد الخبير وينفذ منه ما تراه صراحة فهمه استحسانه . ويرد منه
ما توضح عنده المعرفة استقباحه واستهجاناً . ومتى لم يكن
كذلك وكان في الجماعة الذين معه من هو بهذه المنزلة من
الخبرة والمعرفة كان أولى بمكانه * ويجب ان يكون حافظاً
لكتاب الله تعالى أو قيماً بقراءته اذا قرأه فانه شديد الحاجة
اليه كما تقدم بيانه ويكون حافظاً لاخبار الرسول والائمة من
ذريته صلى الله عليهم أجمعين قيماً بها أو بأكثرها راوياً لاخبار
الملوك وأيام العرب ووقائعهم واخبار العجم وسائر الامم وما
جرى في أيام الملوك الماضين وما حدث من وزرائهم وكتبهم

وقوادهم واخبارهم فانه احوج الناس الى ذلك وربما دفعته
مضايق الكتابة الى الاستشهاد بشيء منه فتي لم يكن لديه
ملكة له ومحفوظاً عنده وقف وقوف المحجم . وجليج جليجة
المحجم * ويجب ان يكون لديه شيء من معرفة الحلال
والحرام ليكون واجداً له متى دفع الى ان يسأل عنه * ويجب
ان يكون حافظاً للشعار راوياً للكثير منها يستشهد بما عساه
يحسن الاستشهاد به في بعض المواضع فان للمنظوم من البهجة
في النفس والوقع في القلب ما ليس للمثور وربما حل منه
ما يحتاج اليه فاتي به مثوراً في اثناء رسائله وطى انشائه فكم
معنى بديع رائع قد حظى به المنظوم دون المثور . وان كل
لان يكون محسناً لنظم الشعر مجيداً فيه كان اجمل لصفاته .
واكمل لأدواته * ويجب ان يكون قد قرأ من العربية
والتصريف واللغة اكثرها فانه احوج الناس الى هذه العلوم
فان كان مبرزاً فيها قيماً بها على الكمال فزيادة في فضله . وان
حصل له منها ان يكون متكلماً بالفاظ الفصحاء لاحقاً برتبة
البلغاء لا يخفى عنه شيء مما يجري في المسكيات . ويكثر في
المحاورات . من غير ان يتبع حوشى الكلام ووحشى الالفاظ

وغريب اللغة ولا يعزب عنه شيء مما يعاينه ويلا بسه ولا يتوجه
 عليه لحن في الخط ولا في الاعراب فقد حصل له ما يكتفي
 به في صناعته * ويجب ان يكون اصيلاً في قومه رفيعاً في حربه
 غير دنيء الآباء ولا ذميم المكاسب فان كل أحد راجع
 الى خيمه وبان على اصوله * ويجب ان يكون صريح الوجه ،
 فصيح اللفاظ . طلق اللسان لانه كثيراً ما يراه الملك
 ويحاوره والحظ في هذين الامرين للملك اكثر منه فيهما له *
 ويجب ان يكون وقوراً حليماً مؤثراً للجد على الهزل ، محباً
 للشغل اكثر من محبته للفراغ ، مقسماً للزمان على اشغاله يجعل
 لكل منها جزءاً منه حتى يستوعبه في استيفاء اقسامها . كثير الاناء
 والرفق ، قليل العجلة والخرق ، نزر الضحك ، مهيب المجلس ،
 ساكن الظل ، وقور النادي . حسن اللقاء . لطيف الاجابة (١)

(١) كان السلطان ملكشاه الساجوقى في بعض صيوده في الصين
 وانعم على بازداريته بمال (البازدار هو اندى يحمل الطيور الجوارح المعدة
 للصيد على يده) فأحلمهم نظام الملك الوزير على انطاكية بالشام
 فشكوا الى السلطان فلام نظام الملك على البعد العظيم عنهم فقال له
 يا سلطان العالم انما قصدت هذا حتى يقال انك كنت بالصين ومراسيمك
 نافذة بالشام . اه مسالك ابن فضل الله العمري

شديد الذكاء ، متوقد الفهم ، حسن الكلام اذا حدث ، حسن
الاصغاء اذا حدث ، سريع الرضا ، بطيء الغضب ، رؤفا بأهل
الدين ، ساعياً في مصالحهم ، محباً لذوى العلم والادب ،
راغباً في نفعهم يغلب هوى الملك علي هواه . ورضاه علي
رضاه ، ما لم ير في ذلك خلا على المملكة فانه يجب أن يهدي
النصيحة للملك من غير ان يوجد ان فيما تقدم من رأيه
فساداً أو نقصاً ولكن يتحيل لنقض ذلك وتهجينه في نفسه
وايضاح الواجب فيه باحسن تأن وأفضل تल्पف . ويكون
من كتمان السر بالمنزلة التي لا يدانيه فيها احد ولا يقاربه فيها
بشر حتي يقرر في نفسه اماته كل حديث يعلمه وتناسي كل
خبر يسمعه وان لا يطلع والدا ولا ولدا ولا اخا شقيقاً ولا
صديقاً صدوقاً علي ما دق ولا ما جل . ولا يعلمه بما كثر منه
ولا ما قل . ويتوهم بل يتحقق ان في اذاعته مما يعلم وضع منزلته
وحط رتبته ويجهد في أن يصير له ذلك طبعاً مركباً وامراً
ضرورياً فانه اذا كان بهذه المنزلة انتفع به الملك واذا كان
بضدها استضر هو والملك جميعاً * ويجب ان ينحل الملك
حساب الآراء ولا يتحلها عليه . ومهما حدث من رأى صائب

او فعل جميل او تدبير حميد اشاعه واذا عه وعظمه ونخمه وكرر
 ذكره ، وأوجب على الناس حمده وشكره ، واذا قال الملك
 قولاً في مجلسه او بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقاً
 للصواب فلا يجبهه بالرد عليه واستهجان ما أتى به فان ذلك
 خطأ كبير بل يصبر الى حين الخلوة ويدخل في أثناء كلامه
 ما يوضح به نهج الصواب من غير تلق برد ولا تبجح بما عنده (١)
 ويكون متابعاً للملك على اخلاقه الفاضلة وطبائه الشريفة

(١) الا ترى ان النضر بن شميل النحوى كبا بحضرة المأمون
 كبوة او شك ان يفقد بسببها منزلته من الخليفة لولا ان تداركه بحسن
 اعتذاره . وقبل المأمون عذره لطيب عنصره وكريم نجاره . وتحرير ذلك
 ان النضر كان عند المأمون يوماً فقال المأمون حدثنا هشيم عن محالد
 عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز » وفتح سين
 سداد فاعاد النضر الحديث وكسر السين من سداد فاستوى المأمون
 جالساً وقال تلحننى يا نضر فقال انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير
 المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قال السداد بالفتح القصد فى الدين
 والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد بكسر
 السين وانشد

اضاعونى واى فتى اضاعوا . ليوم كريمة وسداد ثغر
 فأمر له المأمون بخمسين الف درهم

من بسط المعدلة ومد رواق الامن * ونشر جناح الانصاف
 واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وجبر الكسير والانعام على
 المقتر المستحق والتوفر من الصدقات على الاشراف والمؤمنين
 وسائر المساكين من المسلمين وعمارة بيوت الله تعالى ،
 وصرف الهمم الى مصالحها والنظر في احوال الفقهاء وحملة
 كتاب الله بما يصالحهم ، والالتفات الى عمارة البلاد ، وجهاد
 الاعداء ونشر الهيبة ، واقامة الحدود في مواضعها ، وتعظيم
 الشريعة والعمل باحكامها فيكون لجميع ذلك مؤكدا ، ولا أفعاله
 فيه موطداً ممهداً . وان أحسن منه بخلة تنافى هذه الخلال ،
 وفعلة تخالف هذه الافعال ، نقلها عنه بالطف سعي وأحسن
 تدريج ولم يدع ممكناً في تبيين قبورها وايضاح رداءة عاقبتها
 وفضيلة مخالفتها الا بينه واوضحه الى ان يعيده الى الفضائل
 التي هي بالملوك النبلاء أليق فان الكاتب اذا كمل جميع هذه
 الخلال استحق ان يكون كاتباً لحضرة الملك الفاضل
 الكامل الدين الورع وان يتولى ديوان رسائله وان يوازره
 على أمور دولته فان المنفعة به للملك تكون عظيمة لا تحيط
 الاوصاف بمقدارها وكلما أدخل بنوع منها نقصت المنفعة به

بمقدار ذلك الاخلال وتوجه الضرر بمقدار ذلك النقص
فان كان عارياً من اكثرها او من جميعها فينبغي ان يتعوذ
بالله من نظره او سماع خبره فاما مقدار المضرة به فاعظم
من ان يحمد

فصل فيما يختص متولى ديوان الرسائل بالنظر فيه من الاعمال
التي لا يقوم بها غيره

اول ما يجب على متولى هذا الديوان ملازمة مجلس
الملك ما كان جالساً ليتأني به سائر المستخدمين معه ولا يجردوا
رخصة في الغيبة عن الديوان ثم تأمل الكتب الواردة على
الملك وتسليمها الى اوثق كتابه وآمنهم في نفسه ليخرجها في
ظاهرها (١) ثم يعيدها اليه فيقابل بها فان وجده أخل بشيء
منها اضافه بخطه وانكر عليه اهماله ليتنبه في المستقبل وان لم
يكن فيها خلل عرضها على الملك واستخرج فيها امره وسطر
تحت كل فصل منها ما يجب ان يكون جواباً عنه علي احسن
الوجوه وفضلها ثم سلمها الى من يكتب الجواب عنها ممن

(١) لياخذها في ظاهر الورقة

يعرف اصطلاحه بذلك ثم قابل الجواب بالتخريج وما وقع به
تحتها فان وجد فيها خللاً سده او مهملاً ذكره او سهواً اصلحه
وان علم انه قد كتبها على افضل الوجوه واسدها وانه لم يغادر
معنى ولم يزد الا الفاظاً ينمق بها كتابته ويؤكد بها قوله
عرضها على الملك ليعلم فيها (١) ثم استدعى من يتولى الا لصاق
فألصقها بحضرتة وجعل على كل منها بطاقة يشير فيها الى مضمونه
لئلا يسأل عنه بعد الصاقه فلا يعلم ما هو ثم يسلمها الى من
يتولى تنزيدها الى حيث اهلت له ويأخذ خطه بعديتها
منسوباً كل منها الى من كتب اليه ومشاراً الى مضمونه
ويسلم النسخ المخرجة الملخصة الى من يؤهله لحفظها وترتيبها
علي ما بين في الباب الذي يأتي في هذا الكتاب *
ويلزمه ان يتصفح ما يكتب من السجلات والمناشير

(١) قال الفلقشندي وكان من شأن الخليفة انه لا يكتب في علاماته
الا (الحمد لله رب العالمين) ولا يخاطب أحداً في مكاتبته الا بالكاف
حتي الوزير صاحب السيف وانما المكاتبات عن الوزير هي التي تتفاوت
مراتبها ولا يخاطب منهم (عن الخلفاء) أحد الا بنعت مخصوص ودعاء
معروف به

والامانات (١) وجميع ما يقع عليه اسم الانشاء تصنفحاً تاماً يامن معه

(١) المنشور ويجمع على مناشير هو كل كتاب خاص باقطاعات
الامراء والجنود بمعنى ان الخليفة أو السلطان اذا اقطع اميراً أو جندياً اقطاعاً
كتب له بذلك كتاباً هو المنشور وعلى العموم المناشير هي الكتب الخاصة
بالاقتاعات وجباية ضرائبها

والامانات كتب كانت تصدر عن حضرة الخليفة أو السلطان
لناس انكر عليهم أمر من الامور فأبعدوا عن الحضرة ثم تشفع فيهم
متشفع أو صدر منهم امر استوجب رضاء الخليفة أو السلطان فيكتب
اليهم الامان

وصورته بعد البسملة كما جاء في كتاب التعريف بالمصطلح الشريف
هذا امان الله وامن نبيه سيدنا محمد نبي الرحمة صلى الله عليه
وسلم وأماننا لفلان بن فلان - ويذكر أشهر أسمائه - على نفسه وأهله وماله
وجميع أصحابه وأتباعه وكل ما يتعلق به من قليل وكثير وجليل وحقير
أمانا لا يبقى معه خوف ولا جزع في أول أمره ولا آخره ولا عاجله
ولا آجله . يخلص ويعم ويصان به النفس والاهل والولد والمال وكل ذات
اليد . فليحضر هو وبنوه وأهله وذووه وأقربوه وغلمانه وكل حاشيته
وجميع ما يملكه من دانيته وقاصيته وليصل بهم الينا ويفد على حضرتنا في
ذمام الله وكلاءته وضممان هذا الامان . له ذمة الله وذمة رسوله صلى الله
عليه وسلم ان لا يناله مكر وهمننا ولا من أحد من قبلنا ولا يتعرض اليه
بسوء ولا اذي ولا يرنق (كذا) له مورد بقذى وله منا الاحسان . والصفاء
بالقلب واللسان . والرعاية التي تؤمن سر به وتهنى شربه ويطمئن بها خاطره
ويرفر فر عليه كالسحاب لا يناله مطره فليحضر واثقاً بالله تعالى وبهذا

ان يدخل على شىء مما يكتب في ديوانه زيغ ولا زلل ولا تحريف
فانه متى عرف المستخدمون معه تيقظه وتطلعوه وبجته عما يكتبونه
احتفل كل واحد منهم بما يتولى كتابته وجمع ذهنه له وفرق
ان يزيد فيه زيادة يخفى مثلها على الممثل للامور من زيادة في
الدعاء لمن لا يستحقها تبذل في مثلها الرشا او اضافة او حطيطة
او مساححة في منشور يذهب بها جملة من مال الملك من حيث
لا يعلم لان الملك لا يلزمه تصفح جميع ما يكتب عنه ولا يتسع
زمانه لذلك والامور المهمة المعذوقة به من تدبير المملكة
وجلائل امورها اكثر من مدة الزمان وساعاته فمتى انضاف
الى ذلك اهمال كاتبه الموثوق به للنظر في دقائق الامور
المردودة اليه واتكل فيها على غيره ممن لا يقوم مقامه دخل
الخلل على المملكة وصار اولئك هم الملوك على الحقيقة لان

الامان الشريف وقد تلفظنا له به ليزداد وثوقاً. ولا يجد بعدها سوء الظن
الى قلبه طريقاً. وسبيل كل واقف عليه اكرامه في حال حضوره وواجراؤه
على احسن ما عهد من اموره. وليكن له ولكل من يحضر معه وما
يحضر او فر نصيب من الاكرام. وتبليغ قصاري القصد ونهاية المرام
والاعتماد على الحظ الشريف

الملك من تم ما يريد ونفذ له ما يؤثره * ويلزم متولى
 هذا الديوان اشعار الملك ما يراه من الآراء الصائبة ويعلمه
 ان من اعظمها خطرا ان يصدر جواب كل كتاب يصل
 اليه في يومه ولا يؤخر الى غده ويؤرخ في آخره بتاريخ ذلك
 اليوم فيقال وكتب في يوم وصول كتابك وهو يوم كذا فان
 هذا يقيم للملك هيبه كبيرة ويدل على تطلعه على الامور
 وانتصابه للتدبير وقلة اهماله لامور دولته وكثرة احتفاله
 باستقامة شئونها ويؤثر له في نفس المكاتبين تأثيرا كثيرا
 ويستشعرون منه حذرا وخيفة * ويكتب الى كل من المستخدمين
 بما عساه يذكره عنه غيره منهم او من غيرهم او ما يأتى به رافع
 او ينقله متخبر ويكشف منه ما يجب الكشف عنه ويمر ذكره
 صفحا عليهم (كذا) ويحذروا في كل وقت من ان يصل عنهم ما يخشى
 عليهم عاقبته او ترد اى الاخبار كان من ناحيتهم من قبل ان
 ينهوه فانهم حينئذ لا يكادون يخفون صغيرة ولا كبيرة ولا
 يجترحون ذنبا بينا وتجري الامور على اتم نظام واوفى قضية *
 وينبغي ان يأخذ جميع المستخدمين في البلاد بتاريخ كتبهم
 وتحذيرهم من ترك ذلك فان في اهماله ضررا كثيرا واذا ورد

الكتاب خالياً من التاريخ لم يُعلم بَعْدَ العهد بما ذكر فيه ام
هو قريب وهل فات وقت النظر فيما تضمنه او هو ممكن
واذا كان مؤرخاً عرف ذلك على الحقيقة وزالت الشبهة فيه *
ويجب ان يتأمل تواريخ الكتب الواصلة فاذا وصل كتاب
يقتضى تاريخه منذ كتب والى ان وصل اكثر من مسافة
الطريق انكر ذلك على متولى ايصاله فان أقام الدليل على
انه ساعة وصل بادر باحضاره انكر على مرسله تأخيره
انكاراً يردع مثله عن ذلك * ويجب ان لا يكتب عن الملك
الا بما يقيم منار دولته ويعظمها ولا يخرج عن حكم الشريعة
وحدودها. ولا يكتب ما يكون فيه عيب على المملكة ولا
ذم لها على غابر الايام ومستأنف الاحقاب . وان امر بشيء
يخرج عن ذلك تلتطف في المراجعة بسببه وتبين وجه الصواب
فيه الى ان يرجع به الى الواجب * ويلزمه ان يكون المعنون
للكتاب لان على كتبه العنوان بخطه شهادة عليه انه قد وقف
على الكتاب ورضى بما كتب فيه . وقد كان الرسم جارياً
بالعراق - وفيه الكتاب الافضل - ان يكتب الكتاب ما
يكتبون ويقولون في آخره : وكتب فلان بن فلان ، ويذكرون

اسم متولى ديوان الرسائل . فاكنتى ها هنا بكون العنوان بخطه
 عن ذكر اسمه فى آخر الكتاب . واما ما لا عنوان له كالمناشير
 وغيرها فمن الواجب ان يكون تاريخه بخطه ليقوم مقام العنوان
 مما يعنون من الشهادة عليه بارتضائه واحماده * ويلزمه ان يكون
 فيه جميع ما يفوق به معيذه والمستخدمين معه ولا يلزم كل
 واحد منهم الا ما يخصه فقط ويكون معذوقا بالفن الذى
 يتولاه لانه يجب ان يكون اكمل منهم ولذلك قدم عليهم
 وجعل اليه اريادهم واستخدامهم . فينبغى حينئذ ان يكون
 محيطا بجميع ما يلزمهم مما يأتى بيانه فى مواضعه من هذا
 الكتاب * ويلزمه ان يكون بأعلى منزلة من الذكاء والفطنة
 واليقظة والاستدلال بيسير القول على كثيره وبيعض الشىء
 على جميعه ويستغنى عن التصريح بالاشارة والايحاء لابل بالرمز
 والايحاء لينبه الملك على الامور من اوائلها ويعرفه خواتم الاشياء
 من مفتحاتها ويحذره حين تبدو له لوائح الامر من قبل ان
 يتساوى فيه العالم والجاهل * فمن احسن ما انتفع به من ذكاء كاتب
 ووزير ما حكى عن خالد بن برمك انه كان وبعض الامراء
 فى معسكر جالسين فى الخيمة فنظر الى سرب من الطباء وقد

أتى حتى كاد يخالط العسكر فقال لصاحبه اركب بنا وانهمض
 الناس للركوب . فقال وما الخطب ؟ فقال الامر أعجل من ان
 ابين سببه . فركب واركب الناس فلم يستموا الركوب الا
 والعدو قد دهمهم وقد بدرت غرر الخيل فوجدوهم مستعدين
 لهم ونصرهم الله على عدوهم . ولما وضعت الحرب اوزارها قال
 خالد بن برمك : ما الذي اعلمك بذلك ؟ قال لما رأيت الظباء قد
 خالطت العسكر عرفت انها لم تفعل ذلك مع نفورها من
 الانيس الا وقد حفزها امر عظيم من ورائها واستشعرت
 انها الخيل فكان الامر كما ظننت وخفت ان اقطع الوقت
 لأعلامك حقيقة ما ظننته ويدهنا العدو ونحن غير مستعدين
 له فهلك * ويلزمه ان يقيم حاجباً لديوانه لا يمكن احداً
 من سائر الناس ان يدخل اليه ما خلا المستخدمين فيه فانه مجمع
 اسرار السلطان الخيفة فمن الواجب كتمها . ومن أهمل ذلك
 لا يأمن ان يُطلع منها على ما يكون باظهاره سبب سقوط
 مرتبته واذا كثر العاشون له (بتخفيف الشين) والداخلون
 اليه امكن المستخدمين معه اظهار الاسرار اتكالا على انها
 تنسب الى أولئك واذا احتجب هو ومستخدموه احتاجوا

الى كتمان ما يعلمونه لانه لا ينسب اذا ظهر الا اليهم

فصل فيمن ينبغي ان يستخدم لتخريج الكتب الواردة

من الواجب اولاً ان لا يقرأ الكتب الواردة الى (١)

الا هو بنفسه ولما لم يكن ذلك ممكناً لوفورها واتساع
الدولة وكثرة المكاتب من اصناف المستخدمين ووصول
الكتب ايضاً من الاقطار النائية والممالك المتباعدة ومن
التحيزين للملك والمتقربين اليه بالمكاتبة وضيق الزمان
عن ان يتفرغ لذلك وجب تفويضه الى متولى ديوان رسائله
ولما كانت الحال عند متولى الديوان كذلك من انه لا يمكنه ان
يتولاه بنفسه لاشتغاله بالحضور عند الملك في بعض الزمان
لقراءة ما يخرج وتقرير ما يجاب به عن كل كتاب وتصفحه في
الديوان ما يكتب والمقابلة به احتاج ان يرد ذلك الى من ينوب
عنه فيه. والقصد بالمستخدم في هذه الخدمة تلخيص ما يرد في
الكتب ليسهل على رئيس الديوان عرضها وفهمها من غير
اخلال بها ولا خيانة فيها * وينبغي لمتولى الديوان ان يرد هذه
الخدمة الى كاتب يختاره لها ويرتضيه ويثق به فانها من جلائل

(١) يباض بالاصل يتعين ان يذكر فيه لفظ الملك بقرينة ما يأتي بعد

الخدم * وينبغي ان يختار هذا الكاتب مسلماً لان الحاجة الى
 كونه مسلماً كون صاحب الديوان مسلماً والعلة فيهما واحدة *
 ويجب ان يكون هذا الكاتب ديناً من المسلمين ليتخرج
 عن كتمان شيء او زيادة فيه * ويجب ان يكون شديد الذكاء
 جيد الاستخراج لسائر الخطوط الغريبة مقاربتها وصالحها
 مضطعاً بتلخيص الالفاظ الكثيرة ونقلها الى الالفاظ القليلة
 بحيث يكون المعنى مضبوطاً لا يسقط منه شيء ولا يختل
 لتخرجها في ظاهره * ويسقط فضول القول وحشوه مثل
 الدعاء والتصدير والالفاظ المرددة * ويكون متوقفاً الفطنة
 سالماً من البله * ويجب ان تكون هذه الخدمة مردودة الى
 هذا الكاتب وحدها دون غيرها من اشغال الديوان ليتوفر
 عليها ويصرف ذهنه اليها ولا يخلط معها غيرهما فيعتذر اذا اخطأ
 بتكاثر الشغل عليه ولا يجعل معه يد غيره ليكون متحققاً انه
 متى اخطأ لم يجد له عذراً ولا شريكاً يحيل عليه * ويسلم الكتب
 اذا خرجها (لخصها) الى متولى الديوان ليقابل ظاهرها
 بباطنها وان وجد فيها ما ينكره عنفه عليه ما كان يسيراً وان
 تابع ذلك منه صرفه واستبدل به

فصل في صفة من يجب ان يستخدم برسم الانشاء
المستخدم في هذه الخدمة يجب ان يكون لاحقا في
الصفات بمتولى الديوان فان لم يقدر على ذلك فان الذى يخصه
ان يكون مسلما لحاجته الى الاستشهاد بكلام الله تعالى وكلام
رسوله والائمة من ولده صلى الله عليهم اجمعين والى معرفة
الحلال والحرام لذكر ذلك في موضعه وايقاعه اجمل مواضعه*
وان يكون فصيحاً بليغاً ادبياً سنى الرتبة في اللغة على المكان
من العربية حافظاً للكثير من رسائل البلغاء المتقدمين ليعرف
مغازيهم ومقاصدهم وانحاءهم ومطالبهم والاضراض التى رموا
اليها والمعانى التى اجر وانحرها (كذا) فيحذو حذوهم ويزيد عليهم
ما استطاع من الزيادة* وان يكون راوياً للكثير من الشعر
ليأخذ معانى ما يريد منه ويحل ما يختاره ويأتى به منشوراً في
مواضعه . وهو اجل الكتاب المستخدمين في هذا الديوان
لانه يتولى الانشاء من نفسه تلقى اليه الكلمة الفذة والمعنى
الواحد فينشئ عليه كتاباً طويلاً وكلاماً كثيراً وانما يتكلم فيه
عن الملك . وكلما كان كلامه ابرع وفي النفوس اوقع عظمت
رتبة الملك وارتفعت منزلته عند الامة ونحو الذى ينشئ

التقليدات (١) والكتب في الحوادث الكبار والمهمات العظام
التي يتلى ما يكتب فيها على فروق المنابر ورعوس الاشهاد
ويحتاج منه الى قوة الجدل واقامة الحجج وشدة المعارضة. وان
تكون الفاظه قوالب معانيه وان يحل من الفصاحة بحيث يجلو
الحق في معرض الباطل ويكسو الباطل شعار الحق ويمدح
المذموم ويزينه ، ويذم المحمود ويشينه ، ويصرف عنان القول
كيف شاء ويطيل في موضع الاطالة ويختصر مكان الاختصار
فان يزيد بن الوليد كتب الى ابراهيم بن الوليد وقد هم بالعصيان :

« اما بعد فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد
على ايتهم شئت والسلام» وهذا من الفصاحة والبلاغة والايجاز
في منزلة عالية جداً وقد اثر في نفس هذا المكاتب ولكن لو
كوتب به غير ابراهيم لما عمل فيه ولا نفع عنده . وانما
يكاتب الناس على مقدار افهامهم فقيمهم من يقنعه يسير الخطاب
وفيهم من لا ينفع فيه الا التحذير والايعاد والابراق والارعاد

(١) التقليد ويجمع على تقليدات وتقاليد هو الامر القاضى
بتعيين النواب اى الولاة والفضاة والكتاب وعلى العموم ارباب
الوظائف غير العسكرية

وتكرير المعاني عليه وتضييق الطرق واقامة الحجج وكثرة
التبيين لمواضع خطئه ومواقع زلله وتبصره وترشده كما حكى
الثعالبي في كتابه الموسوم «باليتيمة» ان بلسكا بن ونداد خورشيد
عصى على ركن الدولة بن بويه واشتدت شوكته واستفحل
امره فكتب اليه كاتب ركن الدولة وهو الاستاذ ابو الفضل
ابن العميد (١) عن صاحبه كتاباً في غاية الفصاحة . ولولا
كراهة الاطالة لسردت منه ها هنا ما يبين عن مقدار
فضيلته (٢) فلم يكن جوابه الا النزوع عن المعصية والرجوع

(١) كان الفضل بن العميد وزيراً لركن الدولة بن بويه الديلمي
تولى الوزارة سنة ٣٢٨ . قال ابن خالكان وكان متوسعاً في علوم الفلسفة
والنجوم واما الادب والترسل فلا يقاربه فيه أحد في زمانه وكان كامل
الرياسة جليل القدر . من بعض اتباعه الصاحب بن عباد قال الثعالبي
وكان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقصده
جماعة من مشاهير الشعراء ومدحوه بأحسن المدائح ومنهم ابو الطيب
المتنبي . وتوفي في صفر سنة ٣٦٠

(٢) اليك صورة ما عثرت عليه في كتاب اليتيمة قال :
وقد أجمع أهل البصرة في الترسل على ان رسالته التي كتبها الى بلسكا
ابن ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه
وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام لا بلغ امام (فصل من أولها)

إلى الطاعة وقال بل كما والله لقد كتب إلى كتاباً ناب عن

كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك واقبال عليك واعراض
عنك . فأنك تدل بسابق حرمة . وتمت بسالف خدمة . أيسرهما يوجب
رعاية . ويقتضي محافظة وعناية . ثم تشفعهما بمحدث غلول وخيانة . وتتبعهما
بأنف خلاف ومعصية وادنى ذلك يحبط أعمالك . ويمحق كل ما يرعي
لك . لا جرم أنى وقفت بين ميل إليك . وميل عليك . أقدم رجلاً لصدمك
وأؤخر أخرى عن قصدك . وأبسط يدا لاصطلامك واجتياحك . وإثني
ثانية لاستبقائك واستصلاحك وأتوقف عن امتثال بعض الأمور فيك
ضناً بالنعمة عندك ومنافسة في الصنعة لديك وتأميلاً لفيثتك وانصرافك
ورجلاً لمرجعتك وانعطافك فقد يغرب العقل ثم يؤوب ويعزب اللب ثم
يثوب ويذهب الحزم ثم يعود ويفسد العزم ثم يصاح ويضاع الرأي ثم
يستدرك ويسكر المرء ثم يصحو ويكدر الماء ثم يصفو وكل ضيقة إلى
رخاء وكل غمرة فإلى انجلاء وكما أنك أتيت من أساءتك بما لم تحتسبه
أولياًؤك فلا بدع ان تأتي من احسانك بما لا ترتقبه اعداؤك وكما استمرت
بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت واخترت ما اخترت فلا عجب ان تنتبه
انتباهة تبصر فيها قبيح ما صنعت وسوء ما اثرت وسأقيم على رسمي في
الابقاء والمماطلة ما صلح وعلى الاستيناء والمطاوله ما أمكن طمعاً في
انابتك وتحكيميا لحسن الظن بك فلست اعدم فيما اظاهره من أعذار
وأردفه من انذار احتجاجاً عليك واستدراجاً لك فان يشاء الله يرشدك
ويأخذ بك إلى حظك ويسددك فانه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير
(فصل منها) وزعمت انك في طرف من الطاعة بعد ان كنت متوسطها
وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها وحاليت شطريها فنشدتك الله الا ما

الكتائب في استصلاح وردني الى طاعة صاحبه . فمكذبا

صدقت عما سألتك: كيف وجدت ما زلت عنه وكيف تجد ما صرت اليه؟
 ألم تكن من الاول في ظل ظليل ونسيم عليل وريح بليل وهواء عدي
 وماء روي ومهاد ووطي وكن كنين ومكان مكين وحصن حصين يقينك
 المتالف ويؤمنك الخاوف ويكنفك من نوائب الزمان ويحفظك من
 طوارق الحدثنان عززت به بعد الذلة وكثرت بعد القلة وارتفعت بعد الضعة
 وأيسرت بعد العسرة وأثريت بعد المتربة واتسعت بعد الضيقة وظفرت
 بالولايات وخفقت فوقك الرايات ووطيء عقبك الرجال وتعلقت بك
 الآمال وصرت تكاثر ويكاثرك وتشير ويشار اليك ويذكر على
 المنابر اسمك وفي المحاضر ذكرك فقيم الآن أنت من الامر؟ وما العوض
 عما عددت والخلف مما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة
 نفسك ونقضت منها كفك، وغمست في خلافها يدك وما الذي أظلك
 بعد انحسار ظلمها عنك أظل ذو ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب
 قل نعم كذلك فهو والله اكثف ظلالك في العاجلة وأردحها في الآجلة
 ان أقمت على المحايدة والعنود ووقفت على المشاحة والجحود (ومنها)
 تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستذكرها والمس جسديك
 وانظر هل يحس وأجسس عرقك هل ينبض وقتش ما حنا عليك هل
 تجد في عرضها قلبك وهل حلى بصدرك ان تظفر بفوت صريح أو موت
 مريح ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله قال مؤلف
 هذا الكتاب بلغني عن بلكا - وكان آدب امثاله - انه كان يقول والله ما
 كانت لي حال الا كما أشار اليه الاستاذ الرئيس ولقد ناب كتابه عن الكتائب
 في عرك اديمي واستصلاح وردني الى طاعة صاحبه أه يتيمة الدهر

ينبغي ان يكون كاتب الملك اذا احتيج اليه في مثل هذا الحال
فعل مثل هذا الفعل وكتب كهذه الكتابة والا فما النفع به
والغنى الذي يوجد عنده . ومن قرأ سلطانيات الصابي (١)
التي كان يكتبها عن ملوك زمانه وجدها ذوب السحر (٢) وفي

(١) قال ابن خالكان ابو اسحق ابراهيم بن هلال الصابي صاحب
الرسائل المشهورة كان كاتب الانشاء ببغداد عن الخليفة ولد
سنة ٣٢٠ او بعدها بقليل وتقد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هجرية
وكان يكتب للملوك من بني بويه ولكنهم كانوا يحقدون عليه تارة
ويرضون عنه اخرى وممن حقد عليه وابعد عضد الدولة بن بويه
وسبب ذلك انه كان امره ان يضع له كتاباً في اخبار دولتهم فعمله
ويقال انه تقل لعضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليه وهو يعمل
في الكتاب وسأله عن عمله فقال اباطيل انمقها واكاذيب الفقها قال
وكان مشدداً في دينه وجهده عليه عز الدولة ان يسلم فلم يفعل وكان
يحفظ القرآن الكريم ويستعمله في رسائله كانت وفاته سنة ٣٨٠

(٢) والى الفارسي نموذجاً من سلطانيات الصابي تقذ به من
واسط الى سبكتكين الحاجب عند عصيانه

اما بعد اطال الله يا اخانا على الطاعة اللائقة بك والهداية
المشاكله لفضلك بقاءك وادام عزك وتأييدك وسعادتك وسلامتك
ونعمتك وكفائتك وامتعنا بك في عود الى المعهود منك وانصراف
عما نزع الشيطان به لك ولا اخلانا منك ومن اجابة هذه الدعوة
فيك فان اولي ما اعتمده العاقل واتاه وذهب اليه وتوخاه ان

رتبة يقصر عنها كل أحد وعلم فضيلة ما كان رزق اولئك

يعرف الحق عليه فيوءديه كما يعرفه له فيقتضيه وان يتحرز في
 مجارى كلمه ويتوقى في مساعى قدمه مما يوتغ الدين (يفسده) ويسخط
 رب العالمين واذا نزلت عنده نعمة قراها بغاية شكره وحمده وأحسن
 ضياقتها بمنتهى وسعه وجهده . . . اذ كان للنعم شرط من الشكر لا تريم
 ما وجدته ولا تقيم ما فقدته . وكثيراً ما تسكر الواردين حياضها
 ويعشى عيون المقتبسين ايامها فيذهلون عن الامتراء لدرتها ويعمهمون
 عن الاستمتاع بنضرتها ويكونون كمن اطار طائرها لما وقع ونقر
 وحشها لما انس ولا يلبثون ان يتعروا من جلبابها وينسلخوا من
 اهابها . . . ونعبيدك بالله من استمرار ذلك بك ونسأله ان يأخذ قبل
 التهادي فيه بيدك . بقدرته

وانت أدام الله عزك الرجل الراجح الذي قد حلب الدهر اشطره
 وعرف خيره وشره وخرج عن حد الحداثة وارتفع عن عذر الغرارة
 وتجلل بملابس الكهول وتحلى على أهل العقول وقد أجرى
 الله لك على أيدينا ويد الامير معز الدولة نعماً ما ندعى عليك شيئاً منها الا
 وانت له مسلم ولسان حالك به متكلم لان ذلك السيد الماضي غفر الله
 له اعطاك ما لم تسم اليه همه وخولك ما لم تبلغه منك امنية وفضلك
 على ألوف كثيرة من عبيده واوليائه . وقرروم كثيرة من أدانيه واقربائه
 وانما ظن بك الايناء عليهم في الوفاء فأوفي بك عابهم في الرتبة
 ولم يدر في خلدك رحمه الله ان مثل احسانه اليك يكفر ومثل متجره
 فيك يخسر وقد جذب بضبعك من مطارح الارقاء العبيد الى مراتب
 الاحرار الصيد وأوطأ الرجال عقبك وكثر مالك وانشك وعظم

الملوك منه وانه قد خلد لهم في صحف الايام ذكراً باقياً ومجداً
 ثابتاً مع انتفاعهم به في وقته

خطرك وقدرك وأبعد صيتك وذكرك وانتهى بك من الأثرة والثروة
 الى ما أقدرك الآن على المخالفة والكشفه اللتين كنت بالعدول عنهما
 حرياً حقيقياً وباستعمال ضدتهما ولياً خليقاً وان تأملت ايدك الله
 صنيعنا بك بعده وجدته أحسن وأجمل وأوفر وأجذل لاتنا ملكنا
 الامور ودبرنا الجمهور وقدرنا على ان تنفع ونضر ونسوء ونسر
 ونقص وزيد ونزجج ونعيد فلم تلم لك مالا ولم نغير عليك حالا ولم ننزع
 عنك عادة ... بل زدناك على ما كنت تحويه واعطيناك اكثر مما ترومه
 وتبغيه وكنت في ايامنا مرفهاً موفراً مصوناً موقراً مرفوعاً عن بذلة
 الخدمة محمولا على دالة الجريمة... مشفعاً فيما تسأله مجاباً الى ما تلمسه
 تقرب من قربت ونبعد من أبعدت ونرضى ما رضيت ونكره ما كرهت
 اقطاعك مقرة عليك وموادك منصبة اليك لا تعرف الا الصبوح
 والغبوق والتمتع بالمارب والاطوار ... وبناء الابنية المشيدة الرفيعة
 ونحن في نوائب تلم بنا وجوائح تبلغ منا بين مال ينكسر على ضماننا
 وزيادات نلتزمها لاوليائنا وموئن تعجز عنها الحال وكلف تزيد على
 الاستغلال... وما زلت تترقى في اطراح الحقوق. واستعمال العقوق. الى
 ان صرت لا تحضر عندنا في مجلس ولا تركب معنا في موكب. وتدعى مع
 ذلك عامينا اتنا نبغيك الغوائل. وتنصب لك الجبائل.....
 وتالله لو كانت الهممة منك لنا واقعة بحقها ومقرونة لشاهدها لكانت
 طاعتك ايانا مظلوماً متحيفاً. أزين بك من مخالفتنا مقتصاً منتصفاً. فكيف

فصل فيمن ينبغي ان يستخدم في المكاتبه عن الملك الى الملوك
المماثلين له والمخالفين للغته وملته

الكاتب الذي ينبغي ان يؤهل لهذه الرتبة اعظم منزلة
من كاتب الانشاء الذي تقدم ذكره واعلى درجة لانه يجب

وعلام الغيوب المطاع على الضمائر والقلوب. يشهد عليك باستحالة ما تذكره
ولنا بصفاء ما نضمرة. وانا بريئون من كل ما قلت وزعمت. وظننت واتهمت
ولو كنا نريد بك سوءا لكان مرامه اسهل وايسر. وطريقه اخصر
واقصر ولا تنهزنا فيك فرصا كثيرة منها شغب غلمانك عليك واحاطتهم
بك... وقد علمت انا وقيناك منهم. وكفيناك اياهم. وانقذنا اليك من
حرسك وحماك. وصانك وكلاك. وفعلنا في ذلك ضد فعلك في فساد غلماننا
عائنا. وتربية الوحشة في قلوبهم منا... فوالله ما هممنا في الاوقات كلها
بقطع حبلك. ولا باضاعة لحقك. بل كنا الى الوقت الذي خرجت فيه الى
ما خرجت. نحفظك حفظ السمع والبصر. ونعتدك للتصارييف والغير. ونراك
على العلات التي تعرفها. والهبات التي تعلمها. الاخ الذي لا بد منه. والعلق الذي
لا عوض عنه. ولقد كنا نعجب من تلك الظنون التي تعترضك. والخلفاء الذي
يبدو منك في ادعاء الغدر علينا. ونسب المكر الينا. وفي مضادتك ايانا. باقصاء
من ندنى. وادناء من نقصى. ألا ترى اننا شريناك بائعين بك كل وزير وظهر
وكبير وصغير. الى ان قال في آخرها - وما كنا لنلتقاك. لفاك الله هداك.
والهمك تقاك. لقاء المحاربين. الابدان تقدم اليك. تقدمه المعذرين. أخذاً
بأدب الله. في دعائك الى رشدك. والصدوف بك عن غيبك. ولا تنام

ان يجمع بين ما فرضنا وجوبه على ذلك الكاتب من العلم
والمعرفة والفصاحة والبلاغة وحسن الالفاظ واتقان الانشاء
وبين ما يختص هو به من علو الهمة وقوة العزم وكبر النفس
فانه يكتب الملوك عن ملوكه . وكل كاتب فانه يجذبه طبعه
وخيمه وجبلته الى ما يشهيه في الكتابة . ومكاتبه الملوك احوج
شيء الى التفخيم والتعظيم وذكر التهاويل الرائعة والاشياء
المرعبة فكلما كان الكاتب أقوى نفساً واشد عزمًا وأعلى
همة كان في ذلك أمضى وعليه أقدر . وكلما نقص في ذلك
نقصت مخاطبته بقدره * فينبغي ان يختار من اعلى الناس

نيأس الى هذه الغاية من ان تعود ونعود . كما كنا وكنت . اذ كان الله قادرا
على ان يكشف الخطب ويذل الصعب . ويدين البعيد . ويلين الشديد .
وكنا ثقيلك اذا استقلت . ونعذرک اذا اعتذرت . وباللّٰه ما ذلك من جهتنا
متعدرا . وان كان من جهتك متيسرا فان فعلت ورددت الامور الى
حقوقها ورسومها . وازلت كل ما احدث من تغييرها وتبديلها . واستظهرت
لنفسك بما تحب ان تستظهر به لها . فان الله يعفو عما سلف . ويحسن في المؤتلف .
وان آيت وتماما ديت . فالحجة متوجهة عليك والجيوش من كل ناحية منصبة
اليك . ولا تأخر لنا عنك . ولا عائق لنا دونك . والله الحاكم بيننا وبينك .
وهو المطلع على سرنا وسرك . والمجازي لنا ولك والسلام . وكتب يوم الاثنين
ثمان خلون من المحرم سنة اربع وستين وثلثمائة

طبقة في ذلك وان يكون على دين الملك ومذهبه لما شرطناه
 اولاً ولكونه يكتب الملوك المخالفة ماتهم ملة ملكه وربما
 احتاج في مكاتباته الى تفخيم ملة ملكه والاحتجاج لها واقامة
 الدلائل على صحتها وان يحتج لملته من اعنقد خلافها بل المخالف
 للملة انما يبدو له مواضع الطعن لامواضع الحجاج فان اعترض
 معترض بالصوابي وانه كان يكتب عن ملوك مساميين وهو على
 غير ملتهم فالجواب انه كان من اهل ملة قليل اهلها ليس لهم
 ذكر ولا مملكة ولا لهم دولة قائمة ولا منهم محارب لاهل
 الاسلام ولا من يكتب ويكتب ولا من يخشى من الكتاب
 الميل اليه والانحراف معه. ثم ان المشهور من احوال ذلك
 الكتاب انه كان قد حفظ من ملة الاسلام وسننها مما يحتاج
 اليه في كتابته ما لا يوجد عند كثير من المسلمين في زمانه
 وكان في صناعته الغاية في وقته فقادت ملوك عصره الضرورة
 اليه اذ لم يجدوا من المسلمين من يعنى غناه ولا يسد مسده *
 ومما يحتاج ان يفهمه هذا الكتاب ان يعرف الفرق بين مخاطبة
 الملوك الاسلامية وبين مخاطبة الملوك المخالفين للملة واللسان
 لان مخاطبة من يتكلم باللسان العربي مشهورة المقاصد معروفة

الطرائق يستعمل فيها الاسجاع وتنميق الالفاظ وتحسينها
وزخرفتها وترتيبها مع ضبط المعنى وحسن التأليف. واما مكاتبة
المخالقين للسان فانه لا ينبغي ان يلم فيها بالالفاظ المسجوعة ولا
ضرب الامثال والتشبيهات والاستعارات فان ذلك انما
يستحسن ما دام مفهوماً في تلك اللغة وغير منقول الى غيرها.
واكثر هذه الضروب اذا نقلت من لغة الى لغة فسدت
معانيها وعاد حسنها قبيحاً. ومنها ما لا يفهم بعد نقله بته ومنها
ما ان فهم له معنى كان غير ما قصد لاسيما ان كان الناقل لها
مقصرآ في العلم باللغتين المنقول منها والمنقول اليها. وأرى ان
الافضل في هذا الباب ان يتولى هذا الكاتب نقل ما يكتب
به ان كان عارفاً بلغة من يكتبه بنفسه وان لم يكن عارفاً بها
فيتطلب من يكون عارفاً بها فينقل ما يكتب به ويكتبه بخط
اهل تلك اللغة ولسانهم إما في ذيل الكتاب او في كتاب
طيه. لانه قد لا يجد الملك الذي يصل اليه الكتاب ناقلاً
ماهرآ عالماً باللغتين فر بما أفسد الناقل المعنى فعاد الكتاب
المصالح مفسداً. فيبطل الغرض الذي قصد به وهذا باب
يجب صرف العناية اليه جداً. وليس يحتاج في مكاتبة اهل

اللغات المخالفة لغير المعاني السديدة البريئة من الاستعارات
والكتابات الصائبة لمواضع الحجج التي تبقى جزئها ونضارة
معانيها وبهجتها مع النقل والترجمة وهذه المرتبة أعلى مراتب
الكتاب ولا يجب ان تناط الا بمن كان يصلح لتولى هذا
الديوان

(فصل في من ينبغي ان يستخدم لمكاتبة رجال الدولة وكبرائها)

هذه الرتبة دون تينك الرتبتين وهي مع ذلك عالية الخطر
جليلة القدر ويجب ان يختار لها من يكون لاحقاً بالمستخدم
فيهما ويكون زكياً فهما عالماً من الادب والعربية ما يؤمنه من
الزلل والخطأ في الفاظه ومعانيه ويكون عمله كتب الاجوبة
والاوامر المبتدأ بها الى كبراء الدولة وولاتها ووجوهها من
الاجناد والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال وأنشاء تقليدات
ذوى الخدم الصغار والامانات وكتب الأيمان والقسمات (١)

(١) اورد ابن فضل الله في الفصل الثالث من كتابه (التعريف
بالمصطلح الشريف) تحت عنوان الايمان التي يستحلف بها للمبايعة
التامة نسخاً بعضها لاهل الاسلام على اختلاف وظائفهم وبعضها لاهل
الكتاب من النصارى واليهود وغيرها للسامرة والمجوس واهل البدع

وينبغي ان يكون مأموناً على الاسرار كاف اليد نزه النفس
عن حطام الدنيا لانه يطلع على اكثر مايجرى في الدولة ويعلم
بالوالى قبل توليته والمصروف قبل صرفه وينبغي ان يختار سريع

من الروافض والخواارج والدروز وانا نأتى هنا على نسخة يمين اهل
الاسلام وهي

اقول وانا فلان والله والله والله وتالله وتالله وتالله وبالله وبالله
وبالله والله العظيم الذي لا اله الا هو البارى الرحمن الرحيم عالم الغيب
والشهادة والسر والعلانية وما تخفى الصدور القائم على كل نفس بما
كسبت والمجازى لها بما عملت وحق جلال الله وقدره الله وعظمة
الله وكبرياء الله وسائر اسماء الله الحسنى وصفاته العليا انى من وقتى هذا
وما مد الله في عمري قد اخلصت نيتى ولا ازال مجتهداً في اخلاصها
واصفيت طوبيتى ولا ازال مجتهداً في اصفائها في طاعة مولانا (ويذكر
لقبه ونسبه) وخدمته ومحبته وامثال مراسمه والعمل بأوامره .
وانى والله العظيم حرب لمن حاربه سلم لمن سالمه عدو لمن عاداه ولى
من والاه من سائر الناس اجمعين . وانى والله العظيم لا اضمر لمولانا
سوءاً ولا غدرأً ولا مكرأً ولا خديعة ولا خيانة في نفس ولا في
مال ولا سلطنة ولا قلاع ولا حصون ولا بلاد ولا غير ذلك ولا
أسعى في تقريق كلمة أحد من أمرائه ولا مماليكه ولا عساكره ولا
أجناده ولا عربانه ولا تركانه ولا استمالة طائفة منهم لغيره ولا أوافق
على ذلك بقول ولا فعل ولا لانية ولا مكاتبة ولا مراسلة ولا اشارة
ولا رمز ولا كناية ولا تصريح فان جاءنى كتاب من أحد من خاق

اليدي في الكتابة حسن الخط اذ كان هذا الفن اكثر ما يستعمل
ولا يكاد يقل في وقت من الاوقات

الله بما فيه مضرة على مولانا او على دولته لا تعمل به ولا اصغى اليه
واحمل الكتاب الى بين يديه الشريفة هو ومن احضره ان قدرت
على امساكه وانى والله العظيم افي لمولانا بهذه اليمين من اولها الى
آخرها لا انقضها ولا شيئاً منها ولا استثنى فيها ولا في شيء منها ولا
اخالف شرطاً من شروطها ومتى خالفها او شيئاً منها او استفتيت فيها
او في شيء منها طلباً لنقضها فكل ما املكه من صامت وناطق صدقة
على الفقراء والمساكين وكل زوجة في عقد نكاحه او يتزوجها في
المستقبل طالق ثلاثاً بتاتاً على سائر المذاهب وكل مملوك أو أمة في
ملكه أو يملكهم في المستقبل احرار لوجه الله تعالى وعليه الحج
الى بيت الله الحرام بمكة المعظمة والوقوف بعرفة ثلاثين حجة متواليات
متتابعات كوامل حافياً حاسراً وعليه صوم الدهر كله الا الايام المنهي
عنها وعليه ان يفك الف رقبة مؤمنة من أسر الكفار ويكون بريئاً
من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن دين الاسلام ان
خالفت هذه اليمين او شرطاً من شروطها وهذه اليمين يميني وانا فلان
والنية فيها بأسرها نية مولانا فلان ونية مستحلفي له بها لانية لي في
باطني وظاهري سواها أشهد الله على بذلك وكفى بالله شهيداً والله
على ما أقول وكيل ويكتب الخالف اسمه بخطه او بخط من يكتب عنه
ان كان ممن لا يكتب

(فصل في من ينبغي ان يوءهل لكتب المناشير
والكتب اللطاف والنسخ)

هذه المنزلة دون تلك المنازل وهي لاحقة بالمنزلة التي
قبلها وكأنها جزء منها ولكن لما كان هذا الشغل واسعا وهو
أكثر عمل الديوان والذي لا ينفك منه لم يكديستقل به رجل
واحد فيحتاج الى معاضدته بأخر يكون دونه في المنزلة ويجعل برسم
تسطير المناشير والفصول المتقدمة الى المقيمين بالحضرة وكتب
تذاكير المستخدمين ونقلها مما يمثله صاحب الديوان وعلى
نسخ جميع ما يكتب في هذا الديوان ويصدر عنه في نسخ
تكون مخلدة فيه ولا تغادر الميضة بحرف لتكون موجودة
متى احتيج اليها (١) وعلى نقل ما يخص ديوان الخراج فانه كثيرا
ما ترد الكتب مضمنة أشياء من أمور الخراج وما لا يعلم كيف
الاجابة عنه الا متولى ديوانه. وليس ينبغي ان يخرج الكتب
المضمنة ذلك الى ديوان الخراج ليجاب عنها منه لانهما قد تشمل

(١) وهي المعروفة الآن بدفاتر الكوبيا في بعض الدواوين
بخلاف البعض الاخر الذي يرى ان هذه الطريقة أسهل تناولها وأكثر
دقة فيستعملها كما اشار اليها ابن الصيرفي

على اشياء غير ذلك لا يجوز ان يوقف عليها فينبغي ان ينقل
 هذا الكاتب الفصول المختصة بذلك في اوراق ويعين الكتب
 التي وصلت فيها وتاريخها والجهة التي وردت منها ويبيضا على
 هيئتها ويستدعي من متولى ديوان الخراج الجواب عن كل
 منها في تلك الاوراق ثم يعرض جميع ذلك على الملك ويستخرج
 امره بامضاء المكاتبه به أو تغييره . وينبغي ان يكون هذا
 الكاتب مأمونا كتبوما للسر فيه من الادب ما يامن معه من
 الخطأ واللحن في لفظه وخطه ويكون حسن الخط او بالغا فيه
 الى القدر الكافي

فصل في من ينبغي ان يكون منتصباً في هذا الديوان

لما كانت البلاغة التامة وحسن الخط قل ما يجتمعان
 وقد شرطنا في الفصل الاول شروطا فيمن يستخدم للانشاء
 ومكاتبه الملوك قل ما توجد في أحد مع حسن الخط ووجب
 ان يختار للديوان مبيض برسم الانشآت والسجلات والتقليدات
 ومكاتبات الملوك وان يكون حسن الخط الى الغاية الموجودة
 لا يكاد يوجد في وقته احسن خطا منه (١) لتصدر الكتب عن

(١) قيل الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً . قال ابن ممتى ومن

الملك بالالفاظ البارة والخط الرائع فان ذلك اجمل للمملكة
واكثر تفخيماً عند من يكتبه وتعظيماً له في صدره فاما ماله
في الامانة وكتبان السر ونزاهة النفس فعلى مثل ما تقدم وصفه
فيمن تقدم

فصل في من ينبغي ان يستخدم متصفحاً لما يكتب اعانة لتولى الديوان

لما كان كل واحد من هؤلاء الذين شرطنا استخدامهم

غير معصوم من السهو والزلل والخطأ والالحن وعثرات القلم

أغرب ما مر بي في ذلك العهد ان عبد الله بن طاهر وقع على رقعة
معتذر اليه خطه غير حسن (قد أردنا قبول عذرك فاعتطفنا دونه تبيح
خطك ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك أو ما علمت
أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحججة ويمكن له ادراك
البغية) أورد ذلك ابن ممتي وأردفه بقوله : وهذا تجن من عبد الله
ابن طاهر أو مغالطة فقد كان لهذا المعتذر ان يجيب عن هذا التوقيع
بما هذا معناه : لما علمت ان طريق المعتب لا يسلك وغاية المتجنى لا
تدرك فاشتغلت لما دفعت اليه بالفكر في سوء الحظ عن اعمال اليد في
تحرير الخط ولو اني أجدت فيما كتبت به من خطي وأقمت الدليل على
ما ذكرته من عذري لقلت استرسل استرسل المدل وكتب كتاب غير
المحتفل بأنه الخلل وما قوة جنائمه في المخاطبة الا لفضيلة ذنب الى ولا
جريان يده في المكاتبة الا لبقية جرأة منه على وعند الله تجتمع الخصوم
وفي مقام عدله ينتصف الظالم من المظلوم . اه

وكل احد يكاد أن يتغطى عنه عيب نفسه ويظهر له عيب غيره
وكان الشغل على متولى الديوان كثيرا جدا والزمان عليه
اضيق من ان يوفى كل ما يكتب بين يديه حق النظر . وكان
القصد ان يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطا
ولفظا ومعنى واعرابا حتى لا يجذبا عن فيه مطعنا ويجب ان
يستخدم لتولى الديوان معين يتصفح جميع الانشآت والتقليدات
والمكاتبات وسائر ما يسطر فيه لانه يغنى عن نظر متولى
الديوان لها واستساعفه ايها وليسكى يحمل عنه اكثر الكل
فيها وتصير اليه وقد قاربت الصحة أو بلغتها فتريحهم من الاصلاح
والتغيير لدقائق الامور ويتوفر نظره وتصفحه على جلائها
وعلى المعاني نفسها . وينبغي ان يكون هذا المستخدم المتصفح
على المنزلة جدا في اللغة والنحو وحفظ كتاب الله زكيا حسن
اللفظة عاقلا مأمونا ويؤخذ الكتاب بعرض جميع ما يكتبونه
وينشئونه عليه قبل عرضه على متولى الديوان فاذا تصفحه
واستوفقه كتب خطه فيه بما يعرف به رضاه عنه لياتزم بدرك
ما فيه ويبرأ منشئه

فصل فيما ينبغي ان يوضع في هذا الديوان من الدفاتر والتذاكير
وصفة من ينبغي ان يعذق به ذلك

هذا باب كبير من اهم ما اعتمد في هذا الديوان ويجب
ان يختار له كاتب مأمون طويل الروح صبور على التعب
محب للعمل فيضع فيه تذاكير تشتمل على مهمات
الامور التي تنهى في ضمن الكتب ويظن انه ربما سئل عنها
او احتيج اليها فيكون وجودها من هذه التذاكير اهون من
التفتيش عليها من الاضابير (١) ويجب ان يسلم اليه جميع الكتب
الواردة بعهد ان يكتب الاجابة عنها ليتأملها وينقل منها في
تذاكيره ما يحتاج اليه وان كان قد اجيب عنها بشيء نقله ويجعل
لكل صفقة اوراقاً من هذه التذاكير على حدة تكون على
رؤوس الاوراق علامات باسم تلك الصفقة او الجهة ويكتب
على هذه الصفقة: فصل من كتاب فلان الوالى او المشارف او
العامل ورد بتاريخ كذا مضمونه كذا اجيب عنه بكذا اولم
يجب عنه الى ان تفرغ السنة فيستجد للسنة التي تلوها تذكرة

(١) الاضابير هي المسماة الآن الملفات او الدوسيبات

اخرى . ويجعل له ايضاً تذكرة يسطر فيها مهمات ما يخرج به
 الاوامر في الكتب الصادرة لئلا تغفل ولا يجاب عنها
 وتكون على تلك الهيئة من ذكر النواحي والمستخدمين
 واذا ورد جواب عن هذا الفصل كتب في ذكرته وورد
 جوابه بتاريخ كذا يتضمن كذا . وهذا اذا اعتمد وجد السلطان
 جميع ما يسأل عنه حاضراً في وقته وغير متعذر عاينه (١)
 ويجب لهذا الكاتب ان يضع في هذا الديوان دفترًا بألقاب
 الولاة وغيرهم من المستخدمين واسمائهم وترتيب مخاطباتهم
 وتحت اسم كل واحد منهم كيف يكتب : ابكاف الخطاب او هاء
 الكناية ، ومقدار الدعاء الذي يدعي له به في السجلات وفي
 المكاتبات والناشير والتوقيعات لاختلاف ذلك في عرف
 هذا الوقت (٢) ويضع فيه ايضاً ألقاب الملوك الاباعد والمكاتبين

(١) هذه التذاكير خصوصية للكتابة بمشابهة مفكرات لهم
 وليست من قبيل الدفاتر الرسمية وقد نصح ابن الصيرفي باتخاذها ليكون
 الكاتب على الدوام حاضر الجواب وربما استعمل بعض حذاق الكتابة
 الآن هذه الطريقة التي لا تخفى فائدتها

(٢) ان ذلك وما بعده ليكشف عن مقدار حرص الرجل على
 دقائق صناعة الكتابة وانها لنصيحة مفيدة لكتاب زماننا الذين تصدر

من الآفاق وكتابهم واسمائهم وترتيب الدعاء لهم ومقداره
 ليكون هذا الدفتر حاضراً لدى الكتاب ينقلون منه في
 المكتابات ما يحتاجون اليه لانه ربما تعذر حفظ ذلك عليهم
 ومتى تغير شيء منه كتبه تحته . ويجعل لكل خدمة ورقة مفردة
 فيها اسم متواليها ولقبه ودعاؤه ومتى صرف كتب عليه صرف
 بتاريخ كذا وأجرى في الدعاء على منهاجه او زيد كذا او نقص
 ولا يتغافل عنه فانه ان اهل شيئاً من ذلك زل بزله الكتاب
 وصاحب الديوان بل والسلطان نفسه * وينبغي ان يضع دفترًا
 للحوادث العظيمة وما يتلوها مما يجري في جميع المملكة
 ويذكر كلا منها في تاريخه فان المنفعة بذلك كبيرة حتى انه لو
 جمع بين هذين الدفترين تاريخ لا اجتماع . ويجب ان يضع تبياناً
 للتشريفات والخلع ليكون قدوة متى احتيج اليها ومثال ذلك
 ان يكتب خلع على فلان عند استخدامه كذا بتاريخ كذا خلعا
 صفتها كيت وكيت عدة اثارها كذا وكذا ويصف كل ثوب
 منها وقيمته وجنسه وسيف صفته كذا ان كان من ذوى
 السيوف وقيمته وطوق صفته كذا ومنطقة صفتها كذا ان

منهم الكتب لاناس في درجة واحدة بألقاب مختلفة

كان ممن له ذلك ويستعلم قيمة هذه الاشياء ممن يتولى خزنها
 واستعمالها فاذا صرف مستخدم وعوض بغيره واستعلم الملك
 منه عن شيء من رسوم من كان قبله وجدده متيسراً عنده
 حاضراً. ويجب ان يعمل فهرستاً للكتب الواردة مفصلاً مسانهاة
 ومشاهرة ومياومة ويكتب تحت اسم كل من ورد من جهته
 كتاب ورد بتاريخ كذا ويشير الى مضمونه اشارة تدل عليه
 أو ينسخه جميعه ان دعت الحاجة الى ذلك ويسلمه بعد ذلك
 الى الخازن ليتولى الاحتفاظ به على ما يوسف في بابه. ويجب
 ان يعمل فهرستاً للكتب الصادرة على حدته على التأليف الذي
 ذكرناه في الكتب الواردة. ويجب ان يعمل فهرستاً للانشآت
 والتقليدات والامانات والمناشير وغير ذلك مشاهرة في كل
 سنة يجمع شهورها واذا انقضت سنة استجد آخر وعمل فيه
 على مثل ما تقدم فان هذه القوانين اذا اعتمدت في ديوان
 الرسائل انضبطت أموره ولم يكديختل منه شيء وكان جميع
 ما ياتمس منه موجوداً باهون سعي في اسرع وقت * ويجب
 ان يضاف الى هذا الكتاب النظر فيما يصل الى هذا الديوان
 من الكتب بالخط الارمني أو الرومي أو الفرنجي أو غيره

من الخطوط المخالفة للخط العربي وان يحضر من هو مشهور
بمعرفة ذلك الخط وقرائه ونقله الى الكلام العربي فان كان
ذلك المترجم يحسن الخط العربي تركه يكتب بخطه تفسير ذلك
الكتاب في ظهره وان كان مشحوناً بطناً وظهرًا كتب ورقة
تجعل تلوه مأمثاله: يقول فلان اني حضرت الى ديوان المكاتبات
بتاريخ كذا وسلمت الى الرقعة او الكتاب الذي هذا الخط في
ظاهره وان كان ليس له ظهر كما قدمنا نقله في خطه على هيئته
ثم قال وسلم الى خط بلغة كذا نسخته على هيئته وينسخه على
هيئته بالقلم الذي هو به مكتوب وسئلت عن تفسيره فذكرت
انه كذا وكذا ويسرده الى آخره وبذلك اشهدت على نفسي
شاهدين ان هذا الذي ذكرته تفسيره بلا زيادة ولا نقص
وان لم يكن يحسن الكتابة العربية كتب عنه الكتاب بحضر
من الشاهدين واشهد عليه لئلا يحجم فيما يقول او يغيره
او ينقصه لان اكثر من يترجم على مذهب صاحب الخط
فر بما كتب عنه شيئاً او داجى فيه فاذا رعب بالاشهاد وقيل له ان
غيره يحضر لتفسيره ايضاً فر بما خاف وادى الامانة

فصل في من ينبغي ان يستخدم خازن لهذا الديوان وما مقتضى خدمته
ينبغي ان يختار لهذه الخدمة رجل زكى فطن عاقل مأمون
ملازم للحضور بين يدي الكتاب المستخدمين فيه فمتى كتب
المنشئ او المستخدم لمكاتبة الملوك كتابا سلمه الى المندوب
لنسخه فنسخه حرفا بحرف وكتب باعلاه نسخة كتاب كذا
الصادر في وقت كذا وكذا التاريخ بيومه وشهره وسنته وتسلمه
هذا الخازن فشكه مع امثاله في شكة تلك السنة وكذلك متى
كتب الكاتب المؤهل لمكاتبة رجال الدولة وكبرائها
وامراءها او المستخدم لكتب المناشير وغيرها شيئا مما هما
مندوبان له اخذ الناسخ ينسخه حرفا بحرفا وكتب عليه ماتقدم
ذكره وجعل هذا الخازن كل شيء من ذلك مع شبهه
وجعل كل سنة على حدتها مقسمة اثني عشر فصلا كل شهر
على حدته مضمنا شكة واحدة حتى اذا التمس شيئا من ذلك
وجده باهون سعى . وكذلك يجمع الكتب الواردة بعد ان
ياخذ خط الكتاب الذي كتب جوابها بما مثاله ورد هذا
الكتاب من الجهة الفلانية بتاريخ كذا وكتب جوابه بتاريخ
كذا وان اقتضت الحال ألا جواب له اخذ عليه خط صاحب

الديوان بانه لا جواب له لتبراً ذمته منه ولا يتأول عليه في وقت
من الاوقات انه اخفاه ولم يعلم به . ويجعل لكل شهر منها
إضبارة يكتب عليها بطاقة تتضمن اسم الشهر ويجعل للسكتب
في ضمنها أضيير لكل صفقة من الاعمال اضبارة وعليها
بطاقة مثاله : بطاقة لما ورد من المكاتبات من اعمال الصعيد
الادنى في الشهر الفلانى يجمع فيها كتب متولى الحرب
والمشارف والضمان والعمال ومتولى الترتيب (كذا) (١)
والقضاة ومن عساه ان يكاتب او يرفع رقعة تختص بتلك
الناحية فيجعلها معها وكذلك لسيوط اخرى ولا تخيم اخرى
وللصعيد الاعلى اخرى ولكل ناحية من النواحي اِضبارة

(١) قال ابن ممتى في كتاب قوانين الدواوين المشارف من لوازمه
ان يكتب على الوصولات وعلى الحساب ويكون له تغليق يخدمه ويقابل
به على المستخدمين معه ولا يلزمه عمل حساب ويطلب بالحاصل
والضامن هو الذى نسميه اليوم (الملتزم) قال ابن ممتى كل ما تأخر
من مال ضمانه لزمه القيام به فان بقى له في جهة المعاملين مال كان
السلطان بالخيار في أن يقبل الحوالة به عليهم بعد تحقيقه في ذمتهم او لا
يقبل وله أن يطالبه بما هو في ذمته ويعود هو بالطلب على من عنده
الباقى

على حدة ويحيط بالجميع للشهر المذكور اضبارة جامعة كما بينا
 ثم ينتقل الى الشهر الآخر فيفعل فيه كذلك فتمت التمس
 مطالعة أو كتاب وجدت في الحال * وينبغي لهذا الخازن أن
 يحتفظ بجميع ما في هذا الديوان من الكتب الواردة وينسخ
 الكتب الصادرة والتذاكير وخرائط المهمات وضرائب
 الرسوم وغير ذلك مما فيه احتفاظاً شديداً * ويكون بالغاً في
 الامانة والثقة الى الحد الذي لا مزيد عليه فإن زمام كل شيء
 بيده ومتى كان قليل الامانة أمالته الرشوة الى اخراج شيء
 من المسكاتبات من الديوان وتسليمه الى من يكون عليه فيه
 ضرراً أو لمن يأخذه نفع وهذا أمر متى اعتمده الخازن أضر
 بالدولة ضرراً كثيراً من حيث لا يعلم الملك ولا أحد. ومن
 أحسن ما سمعته في أمانة خازن ما رواه علي بن الحسن
 الكاتب المعروف بابن الماشطة في كتابه المعروف بجواب المعنت
 في الخراج من انه كانت تجمع الاعمال والحسابات بالعراق
 بعد كل ثلاث سنين الى خزانه تعرف بالخزانه العظمى كان
 يتولى في وقته ذلك رجل يعرف بمحمد بن سليمان الكانجار
 وكان شديد الامانة بالغاً فيها الى المبلغ الاقصى وكان رزقه

كل شهر خمسمائة درهم تكون بخمسين ديناراً من صرفهم
 ذلك (خمسة وعشرين جنبها تقريباً) . وكان لهذا الخازن
 خازن يعينه يقال له ابراهيم فحدث ابراهيم أن رجلاً لقيه
 في بعض طرقه من اسباب ابي الوليد احمد بن ابي ذواد
 فقال له هل لك في الغني بقية عمرك وأعمار عقبك من
 بعدك من حيث لا يضرك؟ فقال هذا لا يكون . فقال
 لا بلى ، في خزائنك دفتر في قراطيس أعرف موضعه من
 بعض الخزائن من رفوفها واسألك ان تنقله من ذلك الرف الى
 رف غيره ولا تخرجه ولا تغيره وأحمل اليك مائة ألف درهم
 وأعطيك كتاب ضيعة تغل لك كل سنة ألف دينار وتخرج
 عن الديوان . قال فارتعد من هول ما سمعه وقال ليس يمكنني
 في هذا شيء الا بأمر صاحبي . فقال له فاعرض ذلك على صاحبك
 واجعل هذا الشيء له ونجعل لك شيئاً آخر . فعرف محمد بن
 سليمان الخازن صاحبه بالخبر وكان في منزله آخر نهار فقال له
 ما قلت للرجل؟ قال قلت له اني استأمرك . فأمر ابناً له وابن
 أخ بالتوكيل به فلم يفارقاه طول ليلته فلما أصبح صار معه الى
 الديوان فوقفه على الدفتر فأخذه محمد بن سليمان الخازن وحمله

في قباه ولم يزل يترقب علي بن عيسى صاحب الديوان حتى حضر فلما حضر صار اليه وكان ابو الوليد في حبسه فقص عليه القصة ودفع اليه الدفتر فنظر فيه فوجده نسخة كتاب من بعض النظار بما وقف عليه من فضل ما بين القوانين التي كانت تلزم ضياع احمد بن ابي ذواد وبين ما يلزمها على معاملة العامة لجميع السنين (١) وان جملة أكثر من ثلاثين ألف ألف درهم (ثلاثة ملايين من الدينار أو نحو مليون ونصف من الجنيهاً) فأحضر علي بن عيسى ابا الوليد واسمعه كل غليظ على جلالة رتبته وأمر بأخذ قلنسوته وان يضرب بها رأسه ويطالب بالمال . فلولا أمانة هذا الخازن ونزاهة نفسه وصلفها عن المال الذي بذل له مع كثرتة لرغب فيه ورأى ان لا شيء عليه في نقل دفتر من مكان الى مكان وهو في الخزنة لم يبرح منها فيتوجه عليه بذلك ضرر ولا خرج من يده فيظهر في يد غيره ولا يعرف موضعه

(١) يعني ان بعض النظار أو المفتشين اكتشف ان أراضى ابي الوليد مقررة عليها ضرائب أقل من أمثالها وطلب معاملته اسوة جيرانه فكان المطلوب منه عن الفرق لسنين مضت أكثر من ثلاثين مليون درهم يعني مليون ونصف من الجنيهاً

فيطلب منه ورأى وجوه السلامة واضحة ونيل الغنى قريباً
فكان يضيع على هذا السلطان ذلك المبلغ الكثير من المال
فحتى لم يكن الخازن بهذه الصفة لم يؤمن من غوائله * ويلزم
الخازن جمع كل شيء الى مثله نحو الاجوبة الديوانية والخطوط
الرومية والارمنية وغيرها مما يحتاج الى النقل والترجمة وغير
ذلك مما يطول شرحه ويكون للمباشرة له حكمها (كذا) وعلى الجملة
فانه يحتاج فيه ان يكون أوثق من كل من في هذا الديوان
وأمن وأتزه نفساً

فصل فيما يختص بالتوقيعات

لما كان التوقيع عن الملك قد صار على العادة الجارية
في هذه الديار وكان جزءاً من ديوان المكاتبات لتزاد
مرور السنين وهو مستقر فيه وجب ان يذكر في هذا
الكتاب . والتوقيع عن حضرة الملك أمر جليل (١) يجري

(١) وقع كاتب الانشاء عن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بمناسبة
صرف مرتبات المرتزقين

« الفقر مر المذاق . والحاجة تذل الاعناق . وحراسة النعم بادرار

مجرى الانشاء عنه بل أوفى رتبة لان به المنع والاطلاق والصرف

الارزاق . فليجروا على رسومهم في الاطلاق . ما عندكم ينفد وما عند
الله باق «

ووقع في خلافة الحافظ لدين الله على استيثار (استمارة) الرواتب مانصه
أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثيرا لا يعطاه . ولا يكدره بالتأخير
له والتسوية والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من
القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت
نفوسهم وساءت ظنونهم شملهم برحمته ورافته . وأمنهم مما كانوا وجلين
من مخافته . وجعل التوقيع بذلك بنحو يده تأكيدا للانعام والمن . وتهنئة
بصدقة لا تتبع بالاذي والمن . فليعتمد في ديوان الجيوش المنصورة اجراء
من تضمنت هذه الاوراق ذكرهم على ما الفوه وعهدوه من رواتبهم
وايجابها على سياقها لكافتهم من غير تأول ولا تعنت ولا استدراك ولا
تعقب وليجروا في نسيباتهم على عاداتهم . لا ينقض من امرهم ما كان مبرما
ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما . كراما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا .
وعملا بما اخبر به عز وجل في قوله تعالى «انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا» ولينسخ في جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى
ومن مستحسن توقيعات جوهر القائد على رقعة رفعت اليه بمصر :

«سوء الاجترام . اوقع بكم الاتتقام . وكفر الانعام . اخرجكم من حفظ
الذمام . فالواجب فيكم ترك الايجاب . واللازم لكم ملازمة الاحتساب . لانكم
بدأتم فأسأتم . وعدتم فتعديتهم . فابتدأؤكم ملوم . وعودكم مذموم . وليس
ينهما فرجة الا تقتضي الذم لكم . والاعراض عنكم . ليرى أمير المؤمنين
صلوات الله عليه رأيه فيكم «

والتصريف وغير ذلك من جلائل الامور. ويجب ان يرتاد له
 من يكون مأمونا في الغاية لئلا يدغل فيه ويتم على الملك ما لم
 يأمر به فان اشغال الملك كما ذكرنا اعظم واكثر من ان
 يتصفح كباثر الامور وصغائرهما. ويكون ذكياً نحريراً لئلا يدخل
 عليه من الغلط على سبيل السهو والبلادة ما لم يقصده. ويكون
 جيد الخط فان الخط اول ما تلحقه العين. ويكون خيراً بما يقوله
 بصيراً بترتيب التوقيعات واوضاعها وقوانين المخاطبات فيها
 مخلصاً لمن يوقع عنه ويوقع اليه ويوقع له في الشيء الواحد
 حتى لا يدخل على واحد منهم مضرة ولا عتب ولا ينقص
 شرطاً من الشروط الواجبة في التوقيع يقع بها اختلال. وتضطرب
 لاجلها الحال. ويكون جليلاً على الملازمة واسع الصدر غير
 ضجر من ترادف حوائج الناس اليه ولا مائل الى حب اللهو
 والدعة فانه اذا كمل هذه الشروط صاحب ان يكون موقفاً عن
 السلطان. والا صلح لهذه الرتبة والسلطان فيها الا يتولاها الا
 من يتولى ديوان رسائله ممن قدمنا ذكر صفته لانه يجمع
 هذه الاوصاف وغيرها فان أمكنه النهوض بها والا ارتاد
 معيناً فيها ممن تكون هذه صفته

فصل في التوقيعات في رقع المظالم خاصة (١)

هذا جزء من التوقيعات الا انه مهم كبير منها لكونه مقتضياً انصاف الناس بعضهم من بعض واقامة ناموس العدل في المملكة ولان اكثر المتظلمين ضعفاء صعايلك وحرُم منقطعات يصل اكثرهم من اطراف المملكة ونواحيها الشاسعة معتقدين انهم صائرون الى من ينصرهم ويكشف ظلامتهم

(١) قال المقریزی تحت عنوان النظر في المظالم اذا خلت الدولة من وزير صاحب سيف يجلس صاحب الباب في القصر وبين يديه الحجاب فينادي المنادي يا ارباب الظلمات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشافهة ارسلت الى الولاية والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من أهل البلدين (القاهرة ومصر) أحضر قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فاذا جمعها سلمها الى الكاتب فيوقع عليها وتحمل الى كاتب آخر فييسط ما أشار اليه الاول ثم تحمل في خريطة الى الخليفة فيوقع عليها وبعد خروجها تسلم لاربابها فان كانت مساححة بمال كتب قد أنعمنا بذلك وكان اذا أراد أن يعلم الشيء الذي أنهى وقع : ليخرج الحال في ذلك وان كان هناك وزير وقع الخليفة بخطه : وزيرنا السيد الاجل فلان أمتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك ان شاء الله فيكتب الوزير تحت خط الخليفة : يمتثل امر مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت في الدواوين

ويعينهم على خصومهم فاذا حصلوا على الصفة التي هم عليها الى
 آخر وقت من تصنيف هذا الكتاب من قلة الاحتفال بهم
 وتضييع رقاعهم بحسب السهوان والضجر منها واشتغال
 الكتاب باللذات والتوقيع على ما يوقع عليه منها بما لا ينفع
 أربابه بالجملة ولا له معنى يفيدهم ولا يدرون ما هو فكيف
 يكون حالهم ولو لم يخش منهم الا الدعاء لكان منه الخوف
 الا كبر فلعهدى بالتوقيعات يكتب على بعضها «يعرض» وعلى
 أكثرها «يجدد عرضها» وما أشبه ذلك من الفوارغ التي لا
 معنى لها وتعاد الى أصحابها فاذا كتبوا غيرها وقع عليها مثال
 ذلك ايضاً وأما «لا سبيل الى ذلك» فهي لفظة قد اعتادوها
 حتى لو التمس نصراني أن يسلم أو مسلم أن يبني مسجداً من
 ماله في أرض مباحة لا مالك لها لوقع على رقعته: لا سبيل الى
 ذلك. ولا يوقع الا فيما كان تحيطه الجزية على الذمة أو
 عمارة الكنائس وما أشبه ذلك لكون بعض من يوقع فيها
 نصرانياً (١) ويجب أن لا يتولى هذه الخدمة الا متولى ديوان

(١) قال المقرئى وكان من جملة القصر الكبير موضع يعرف

بالسقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة ان يجلس هناك كل

الرسائل الذي قدمنا ذكره وصفته فانه جدير بها وان منعه
الشغل عنها فيجب أن يرتاد لها كاتباً كافياً مسلماً ناهضاً ديناً

ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال
بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله فيسمعه الخليفة
فيأمر باحضاره اليه أو يفوض أمره الى الوزير أو القاضي أو الوالي
ومن غريب ما وقع ان الموفق بن الحلال لما كان يتحدث في
أمور الدواوين أيام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من اتدب بعد
المخطاط النيل من العدول والنصارى الكتاب الى الاعمال لتحرير
ما شمله الري وزرع من الاراضي وكتابة المكلفات فخرج الى بعض
النواحي من يمسحها من شاد وناظر وعدول وتأخر الكاتب النصراني
ثم لحقهم وأراد التعدي الى الناحية فحمله ضامن تلك المعدي الى البر وطلب
منه اجرة التعدي فنفر فيه النصراني وسبه وقال أنا ماسح هذه البلدة
وتريد مني حق التعدي فقال له الضامن ان كان لي زرع خذه وقلع لجام
بغلة النصراني والقاه في معديته فلم يجد النصراني بداً من دفع الاجرة
اليه حين أخذ لجام بغلته فلما تم مساحة البلد وبيض مكلفة المساحة
ليحملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجملة بزيادة
عشرين فدانا ترك بياضاً في بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة
وأخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب في البياض الذي تركه أرض
اللجام باسم ضامن المعدي عشرين فدانا قطعة كل فدان أربعة دنانير
عن ذلك ثمانون ديناراً وحمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة
اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر ندب من الجنود من فيه حماسة
وشدة ومن الكتاب العدول وكاتب نصراني فيخرجون الى سائر

جيد الخط والفهم يتقى الله تعالى في أموره ويؤثر آخرته على
دنياه ويوقع فيما أمكنه التوقيع فيه من رقايع المتظلمين مما

الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة
فينفق في الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن
وكان من العادة ان يخرج الى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج
وقت المساحة بل ينتدب قوم سواهم فلما خرج الشاد والكاتب والعدول
لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ما تشهد به
المكلفة ومن جملتهم ضامن المعدي فلما حضر أزم بستة وعشرين دينارا
وثلاثي دينار عن نظير ثلث المال الثمانين دينارا التي تشهد به المكلفة عن
خراج ارض اللجام فانكر الضامن ان تكون له زراعة بالناحية وصدقه
أهل البلد فلم يقبل الشاد ذلك وكان عسوقاً وأمر به فضرب بالمقارع
واحتج بنخط العدول على المكلفة وما زال به حتي باع معديته وغيرها
واورد ثلث المال الثابت في المكلفة وسار الى القاهرة فوقف تحت
السقينة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل
بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وحكي له ما اتفق منه في حق النصراني
وما كاده به فأحضر ابن اللجام وجميع ارباب الدواوين وأحضرت
المكلفات التي عملت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية وتصفحت
بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض اللجام ذكر البتة فحينئذ أمر
الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصراني وسمر في مركب واقام له من
يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادي عليه ففعل ذلك
وأمر بكف أيدي النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة فمعتلوا
عدة الى ان سأت أحوالهم وكان الحافظ مغرماً بعلم النجوم وله عدة

جرت العادة بمثله وما كان لا بد له من عرضه على السلطان واستطلاع رأيه فيه سلمه الى متولى ديوانه ليحضر به المجلس ويستخرج فيه الامر أو يحضر الكتاب نفسه فيقرأ المهمات منها ويستأذن عليها ويوقع بما يؤمر فيها فتمت حديث فيها الرقعة

من المنجمين من جماتهم شخص صار اليه عدة من اكابر كتاب النصاري ودفعوا اليه جملة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالاخرم بن أبي زكريا وسألوه ان يذكر للحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل وأنه ان أقامه في تدير دولته زاد النيل ونما الارتفاع (اليراد) وزكت الزروع وتجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسماك وورد التجار وجرت قوانين المملكة على أجمل الاوضاع فطمع ذلك المنجم في كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ما قدره النصاري معه. فلما رأى الحافظ ذلك تعلق نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصاري وصار يتصفح وجوهمهم من غير أن يطلع أحد على ما يريد وهم يؤخرون الاخرم عن الحضور اليه قصداً منهم وخشية أن يفطن بمكرهم الى ان اشتد الزامهم باحضار سائر من بقي منهم فأحضره بعد ان وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التي عينها منجمه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى ان ولاه أمير الدواوين فأعاد كتاب النصاري أوفر ما كانوا عليه وشرعوا في التجبر وبالغوا في اظهار الفخر وتظاهروا بالملابس العظيمة وركبوا البغلات الرائجة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضائقوا المسلمين في أرزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاقواف الشرعية واتخذوا العبيد والمماليك والجواري من المسلمين والمسلمات

المهمة التي تنتفع الدولة بها ويستضر بتأخير النظر فيها ويفهم
 من طي هذه الرقاع من جور بعض الولاة والمستخدمين
 وامتداد أيديهم ما توجب السياسة صرفهم عما ولوه منها وما
 كان منها مما يسأل السلطان في صحته ندب من يثق به لسكشفه
 مع رافعه فان صح قوله أنصف من خصمه وان بان تمحله
 قوبل بما يردع أمثاله على الكذب والتخرص فيكون ذلك
 كافاً لمن يههم بشكوى أحد على سبيل المحال وقول الزور فيه .
 ويعلم الولاة والمشارفون وسائر المستخدمين ان السلطان
 متفرغ للنظر في قصص الناس وشكاويهم او قد نصب لذلك
 من يتفرغ له ويطلع تألمهم منه فتتكف أيديهم عن الظلم والتعدي
 ويحذرون سوء عاقبة فعلهم المؤدى الى ضرر الرعية فينجسم
 بذلك مادة كبيرة من الفساد ويقل المتظلمون قولاً واحداً
 وتحسن سمعة الدولة بذلك ويكون لها الجمال الكبير

قال المؤلف قد أتينا بجميع ما شرطناه في صدر هذا
 الكتاب من القوانين التي يجب ان يكون عليها متولى ديوان
 الرسائل وكتابه ومعينوه وجميع المستخدمين عنده على أفضل
 الوجوه وأسدها وجعلناه مع شدة الاختصار والايجاز جامعاً

للمعاني التي يحتاج اليها وذلك بسعادة من رسم باسمه وصنف
 برسمه السيد الاجل الافضل سيد ارباب الممالك والدول
 المحامي عن حوزة الدين ، وناشر جناح العدل على الاقربين
 والابعدين ، ناصر امام الحق في حالتي غيبته وحضوره ، القائم في
 نصرته بماضى سيفه وصائب رايه وتدييره ، أمين الله على عباده ،
 وهادي القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ، ومرشد دعاة
 أمير المؤمنين لواضح بيانه وارشاده ، مولى النعم ومفرج النعم ،
 ورافع الجور عن الامم ، ومالك فضيلتي السيف والقلم . ثبت
 الله أيامه ونصر أعلامه ، وأمضى في الخافقين أحكامه ، وجعل
 ملوك الارض خوله وخدامه ، وأظهر الحق به وعلى يديه ،
 وجعل الامة واقية باقية عليه . ان شاء الله

(تم القانون في ديوان الرسائل بعون الله ومنه)

وافق الفراغ منه (اي من نسخه) صبيحة يوم الاثنين السادس
 عشر من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وخمسة الحمد لله
 وحده وصلواته على سيدنا محمد
 وآله وصحبه وسلامه

خاتمة

يقول ناشره قد رأيت ان أختتم هذا الكتاب ببندة
 فيما آل اليه أمر الفواطم عند ما استبد الساطان صلاح الدين
 يوسف بن أيوب بملك مصر عقب موت الخليفة العاضد لدين
 الله آخر خلفائهم . قال المقريزي ولما مات العاضد في يوم عاشوراء
 سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشي قرا قوش على أهل
 العاضد وأولاده وجعلهم في مكان أفرد لهم خارج القصر وجمع
 عمومته وعشيرته في ايوان بالقصر واحترز عليهم وفرق بين
 النساء والرجال لئلا يتناسلوا وليكون ذلك أسرع الى انقراضهم
 وتسلم السلطان صلاح الدين القصر بما فيه من الخزان والدواوين
 وغيرها من الاموال والنقائس وكانت عظيمة الوصف
 واستعرض من فيه من الجوارى والعييد فاطلق من كان حراً
 ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق
 فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين وأخلى القصور من
 سكانها وأغلق ابوابها ثم ملكها امرأه وضرب الالواح على

ما كان للخلفاء واتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه
 منها وباع بعضها ثم قسم القصور فاعطى القصر الكبير للامراء
 فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر اللؤلؤة
 على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب الى الدولة
 الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها
 ونزل بها. قال القاضي الفاضل وفي ثالث عشره يعني ربيعاً الآخر
 سنة سبع وستين كشف حاصل الخزان الخاصة بالقصر فقيل
 ان الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع
 وعقود ثمينة وذخائر نفحة وجواهر نفيسة وغير ذلك من
 ذخائر جمّة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش
 وبيان (اسم علم) وأخلت امكنة من القصر الغربي سكن
 بها الامير موسك (وهو من اولاد عم صلاح الدين واليه
 نسب طريق الموسكى الحالى) والامير ابوالهيچاء السمنى وغيره
 من الغز ومائت المناظر المصونة عن الناظر. والمنزهات التي
 لم يخطر ابتدائها بالخطر. فسبحان مظهر العجائب ومحدثها. ووارث
 الارض ومورثها. قال ومقدار ما يحدس انه خرج من القصر
 ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس واثاث

وقماش وسلاح ما لا يفي به ملك الا كاسرة . ولا تتصوره
الخواطر الحاضرة . ولا تشتمل على مثله الممالك العاصرة ولا
يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة (١)

(١) ما ذا عسى كان يقول الفاضى الفاضل لو عين ما حوته
خزائن القصور من النفائس والطرف والذخائر والتحف قبل ذلك
بقرن اى قبل الحوادث والفتن التى وقعت على أيام الخليفة المستنصر
واتفق المؤرخون على نعتها بالشدة العظمى وهو هو الذى اشترى من
من ضمن ما بيع من خزانة الكتب مائة الف مجلد وهو بعض من كل
وهذا الكل انما هو بقية بقيت عقب الشدة العظمى ضم لها متأخرو القواطم
بعض النسخ

ما ذا عساه كان يقول لو شاهد خزائن الكسوات قبل أيام
المستنصر وهى مفعمة بالكساوي الخاصة والبدلات المعدة للخلع التى
اخرج منها فى بعض أيام سنى الشدة ما يزيد على خمسين الف قطعة
اكثرها مذهبة

او ماذا عساه كان يقول لو رأى خزائن الجواهر وقد اخرج منها
فى أيام الشدة صندوق كيل منه سبعة امداد زمرد قدرت قيمتها بثلاثمائة
الف دينار . وصندوق آخر اخرج منه سبع وبيات من تقيس الدر
الرفيع الرائع وصناديق عدة مملوءة بالسكاكين المذهبة والمفضضة
او ما اخرج من خزائن عبدة بنت المعز من المتاع الذى كتب
كشف بيانه فى ثلاثين رزمة ورق من ضمنها تسعون طستاً وتسعون
ابريقاً من صافى البلور المحلى والاجاجين الصينى الكبار المحلاة المعمولة

وقال الحافظ جمال الدين يوسف الينغوري وجدت بخط
المهذب ابي طالب محمد بن علي بن الخيمي : حدثني الامير عضد
الدين مرهف بن مجد الدين سويد الدولة بن منقذ ان القصر
أغلق على ثمانية عشر ألف نسمة عشرة آلاف شريف وشريفة
وثمانية آلاف عبد وخدام وأمة ومولدة وتربية . وقال ابن عبد
الظاهر عن القصر لما اخذه صلاح الدين واخرج من كان
به : كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله
وأولاده ولما اخرجوا منه اسكنوا في دار المظفر وقبض أيضاً
صلاح الدين على الامير داود بن العاصد وكان ولي العهد
وينعت بالحمد لله واعتقل معه جميع اخوته وجماعة من بني

لغسل الثياب قيمة كل قطعة منها الف دينار
او ما اخرج من خزائن الفرش والامتعة وبلغ عدد قطعه اكثر
من مائة الف قطعة بيعت مرتبة منها بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار .
ومقطع من الحرير التستري الازرق الغريب الصنعة المنسوج بالذهب
وسائر الالوان كان المعز لدين الله أمر بعمله وفيه صور اقاليم الارض
وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومسالكها مكتوب على كل مدينة
وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب او الفضة او الحرير وفي
آخره مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقاً الى حرم الله واشهاراً لمعلم
رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثمانائة وبلغت النفقة عليه اثنين

أعمامه فلم يزالوا في الاعتقال بدار الافضل من حارة برجوان
الى ان انتقل الملك الكامل الى قلعة الجبل فنقلهم معه وبها مات
داود بن العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الايوبية
وقال أيضا وفي شهر رجب من سنة اربع وثمانين وخمسمائة
كان بقي من ذرية القواطم بدار المظفر والقصر الغربي والايوان
مائتين واثنين وخمسين شخصا : ذكور ثمانية وتسعون ، واناث
مائة واربعة وخمسون . تفصيله : المقيمون بدار المظفر احدى ثلاثون :
ذكور احدى عشر كلهم اولاد العاضد لصلبه ، اناث عشرون :
بنات العاضد خمسة . اخواته اربع . جهات العاضد اربع . بنات

وعشرين الف دينار أو ما أخرج من نفس هذه الخزائن من رزم
الفرش وعددها أربعة آلاف رزمة كل رزمة فرش مجلس بسيطه
وتعليقه (ستائره) وسائر آتاه منسوجة في خيط واحد باقية على
حالتها لم تمس

وانى اقتصر على هذا القدر من وصف هذه الخزائن وأحيل
القارىء المحب للاستقصاء على كتاب المقرئى الذى ورد فيه وصف
هذه الخزائن وغيرها من خزائن الخيم وخزائن السروج وخزائن
السلاح وخزانة البنود والاعلام وهو وصف يكاد لا يصدق من لم
يقف على دقائق معيشة القوم ومبلغ حبهم للتنعم والرفاهية سبحان من
يرث الارض ومن عاها وهو خير الوارثين

الحافظ ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه اربع. المعتقلون
بالايوان خمسة وخمسون رجلا منهم الامير ابو الظاهر بن جبريل
ابن الحافظ. المقيمون بالقصر الغربي مائة وستة وستون شخصاً:
ذكور اثنان وثلاثون أكبرهم عمره عشرون سنة واصغرهم
عمره سبع عشرة سنة اناث مائة واربع وثلاثون: بنات
اربع وستون اخوات وعمات وزوجات سبعون

ويجدر بنا وقد وصلنا بالقارىء الى هنا ان نختم بالقصيدة
التي نظمها الفقيه عمارة اليمنى (١) في رثاء أهل القصر وضمنها جملاً

(١) الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكيم
اليمنى الملقب بنجم الدين الشاعر المشهور قال ابن خلكان وطنه من
تهامة اليمن من مدينة يقال لها مرطان بعدها من مكة أحد عشر يوماً
جنوباً وبها مولده ومر به بلغ الحلم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ورحل
الى زيد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة واقام بها واشتغل بالفقه في
بعض مدارسها مدة أربع سنين وحب سنة تسع وأربعين وخمسمائة
وسيره قاسم بن هاشم أمير مكة رسولا الى الديار المصرية فدخلها في
ربيع الاول سنة خمسين وخمسمائة وصاحبها يومئذ الفائز بن الظافر
والوزير الصالح طلائع بن رزيق وانشدهما في هذه الدفعة قصيدته وهي
الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النعم
لا احمد الحق عندي للركاب يد تمت اللجم فيها رتبة الخطم

عما مر ذكره في هذا الكتاب وبذلك يسهل فهمها وهي قصيدة

قربن بعد مزار العز من نظري
ورحن من كعبة البطحاء والحرم
فهل درى البيت أنى بعد فرقته
ما سرت من حرم الا الى حرم

ومنها في مدح الصالح طلائع

لقد حمى الدين والدنيا وأهلها
اللابس الفخر لم تنسج غلائله
وزيره الصالح الفراج للغمم
الا يد الصانعين السيف والقلم

الى ان قال

ليت الكواكب تدنولى فأظمها
عقود مدح فما أرضي لكم كلى
وفيهما معاً

خليفة ووزير مد عدلها
قال فاستحسننا قصيدته وأجزلا صلته واقام الى شوال من سنة
خمسین في أرغد عيش وأعز جانب ثم فارق مصر الى مكة ومنها الى
زبيد في صفر سنة احدى وخمسين ثم حج من عامه فاعاده قاسم في
رسالة الى مصر ثانية فاستوطنها ولم يفارقها بعد ذلك

وكان فقيهاً شافعي المذهب شديد التعصب للسنة أديباً ماهراً شاعراً
مجيداً محادثاً فاحسن الصالح وبنوه وأهله اليه كل الاحسان وصحبه
مع اختلاف العقيدة وكانت بينه وبين الكامل بن شاور حجة متأكدة
قبل وزارة أبيه فلما وزر استحال عليه فكتب اليه

اذا لم يسالمك الزمان فخارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فر بما
وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
تموت الافاعي من سموم العقارب

قال فيها بعضهم انه لم يسمع في دولة بعد انقراضها أحسن منها
واليك نصها

رمىت يادهر كف المجد بالشلل وجيده بعد حسن الحلى بالعطل

ومنها

إذا كان هذا الدر معدنه في فصونوه عن تقبيل راحة واهب
رأيت رجالا أصبحت في ما دب لديكم وحالي وحدها في نوادب
تأخرت لما قدمتهم علاكم على وتأبى الاسد سبق الثعالب
قال ابن خلكان وزالت دولة المصريين وهو في البلاد ولما ملك
السلطان صلاح الدين الديار المصرية كتب اليه قصيدة متضمنة شرح
حاله وضرورته . ورثى أهل القصر عند زوال ملكهم بقصيدة لامية
طويلة أجاد فيها . قال انه شرع في أمور وأسباب من الاتفاق مع جماعة
من رؤساء البلد على التعصب للمصريين واعادة دولتهم فأحسن به
السلطان صلاح الدين وكانوا ثمانية من الاعيان ومن جماتهم الفقيه
عمارة فشنقهم يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة
بالقاهرة وله تواليف (كذا) منها كتاب أخبار اليمن وفيه فوائد .
ومنها النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية وغير ذلك . وقال العماد
الاصبغاني انه صلب في جملة الجماعة الذين نسب اليهم التدبير على صلاح
الدين ومكاتبه الفرنج واستدعاهم اليه حتى يجلسوا ولد العاضد وكانوا
أدخلوا معهم رجلا من الاجناد ليس من أهل مصر فحضر عند صلاح
الدين واخبره بما جرى فأحضرهم فلم ينكروا الامر ولم يروه منكراً
فقطع الطريق على عمر عمارة

سعت في منهج الرأى العثور فان
 جدعت مارنك الاقوى فأنفك لا
 هدمت قاعدة المعروف عن عجل
 لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة
 قدمت مصر فأولتني خلائفها
 قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن
 ونلت من عظماء الجيش مكرمة
 يا عاذلى في هوى أبناء فاطمة
 بالله در ساحة القصرين (١) وابك معى

عليهما لا على صفين والجمال

(١) ساحة القصرين ميدان كان بينهما يقال له أيضا «بين القصرين»
 وكان في غاية السعة وصفه بعضهم بأنه يسع عشرة آلاف فارس وموقعه
 شارع النحاسين الآن من قبالة باب الصاغة الى حيث الجامع الاقمر وهذا
 يشبه ان يكون طوله واما عرضه فمن وجهة جامع قلاوون الى القبو
 سفلى بيت القاضي

والقصران هما القصر الكبير الشرقي يحده جنوباً خان الخليلي
 وغرباً خط مواز لشارع النحاسين على سمت بيت القاضي ينتهي شمالاً
 بالجامع الاقمر ويحده من الجهة البحرية الطريق المؤدى من الجامع الاقمر
 الى شارع الجمالية ومن جهة الشرق الطريق المؤدى من الجمالية الى قصر
 الشوق ثم يعرج الى حيث المشهد الحسينى وكان داخل القصر واما القصر
 الصغير الشرقي فيشغل موقعه مارستان قلاوون وما في صفه من الجوامع
 والبيوت الى حارة برجوان وكان قبله حيث الصاغة الآن مطبخ القصر

وقبل لاهايهما والله ما التحمت
الى ان قال
فيكم جراحی ولا قرحی بمندمل

مررت بالقصر والاركان خالية
فملت عنها بوجهي خوف منتقد
أسلت من أسفي دمعى غداة خات
أبكي على ما تراءت من مكارمكم
دار الضيافة (١) كانت أنس وافدكم
وفطرة الصوم (٢) اذا ضحت مكارمكم

تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل

(١) دار الضيافة . قال المقرئى كانت برسم الرسل الواردين
من الملوك ويقال لتمويلها النائب لكونه ينوب عن صاحب الباب (الحاجب)
في لقاء الرسل الوافدين وانزال كل واحد منهم في دار تصلح له ويقوم
له من يقوم بخدمته ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحداً من
الاجتماع بهم ويذكره صاحب الباب بهم ويبالغ في نجاز ما وصلوا فيه
وهو الذى يسلم بهم أبدأً عند الخليفة والوزير وينفذ بهم ويستأذن عليهم
ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده
اليسرى ويحفظ النائب ما يقولون ويقال عنهم ويجتهد في انصاهم على أحسن
الوجوه . وبين يده من الفراشين عدة

(٢) قال المقرئى وعمل المعز داراً سماها دار الفطرة يعمل فيها
الخشكناج والامواء والفايند (كعب الغزال) والكعك وغيره من أول رجب
الى نصف رمضان يفرق جميع ذلك فى جميع الناس الخاص والعام على قدر

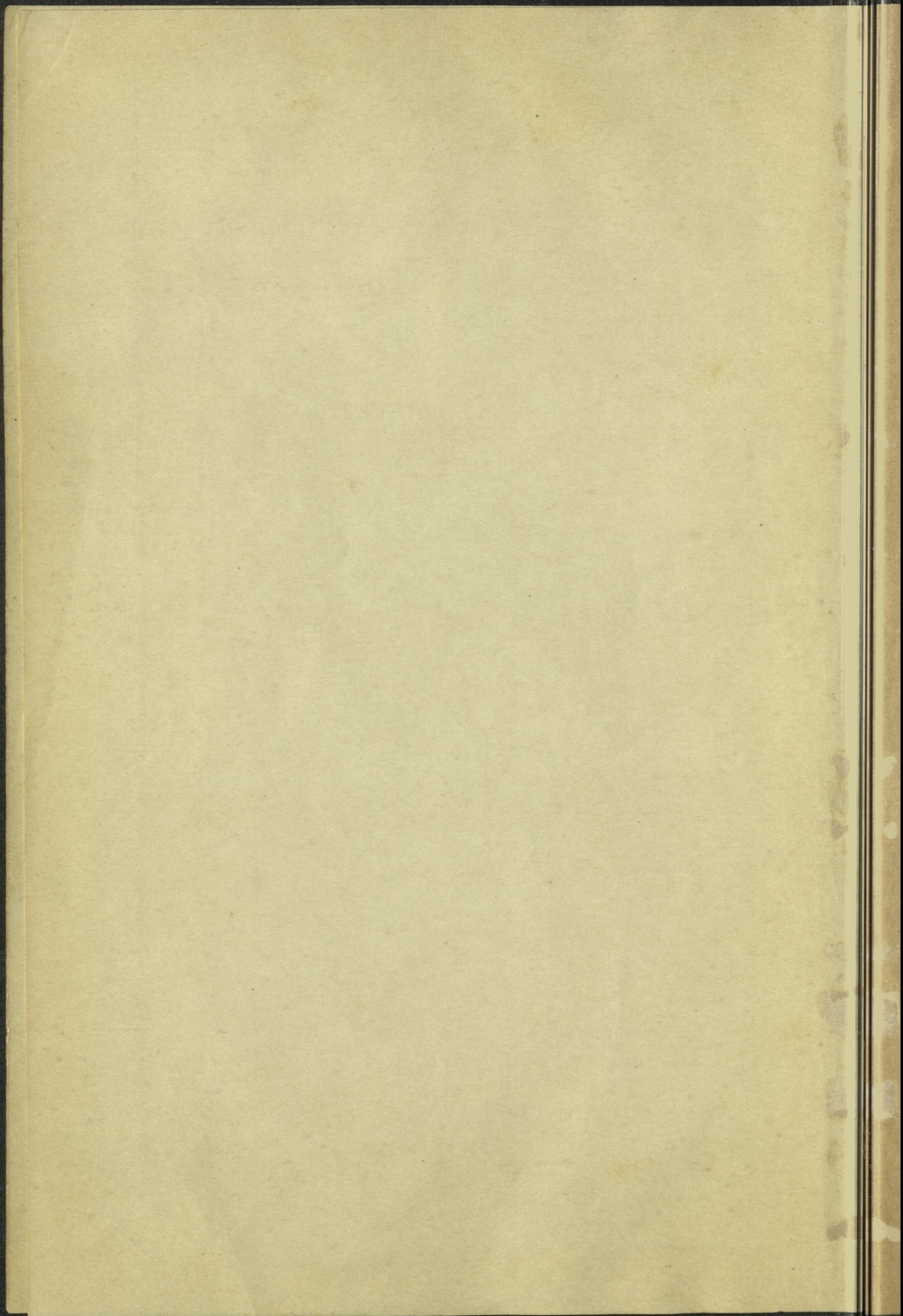
وكسوة الناس (٣) في الفصاين قد درست

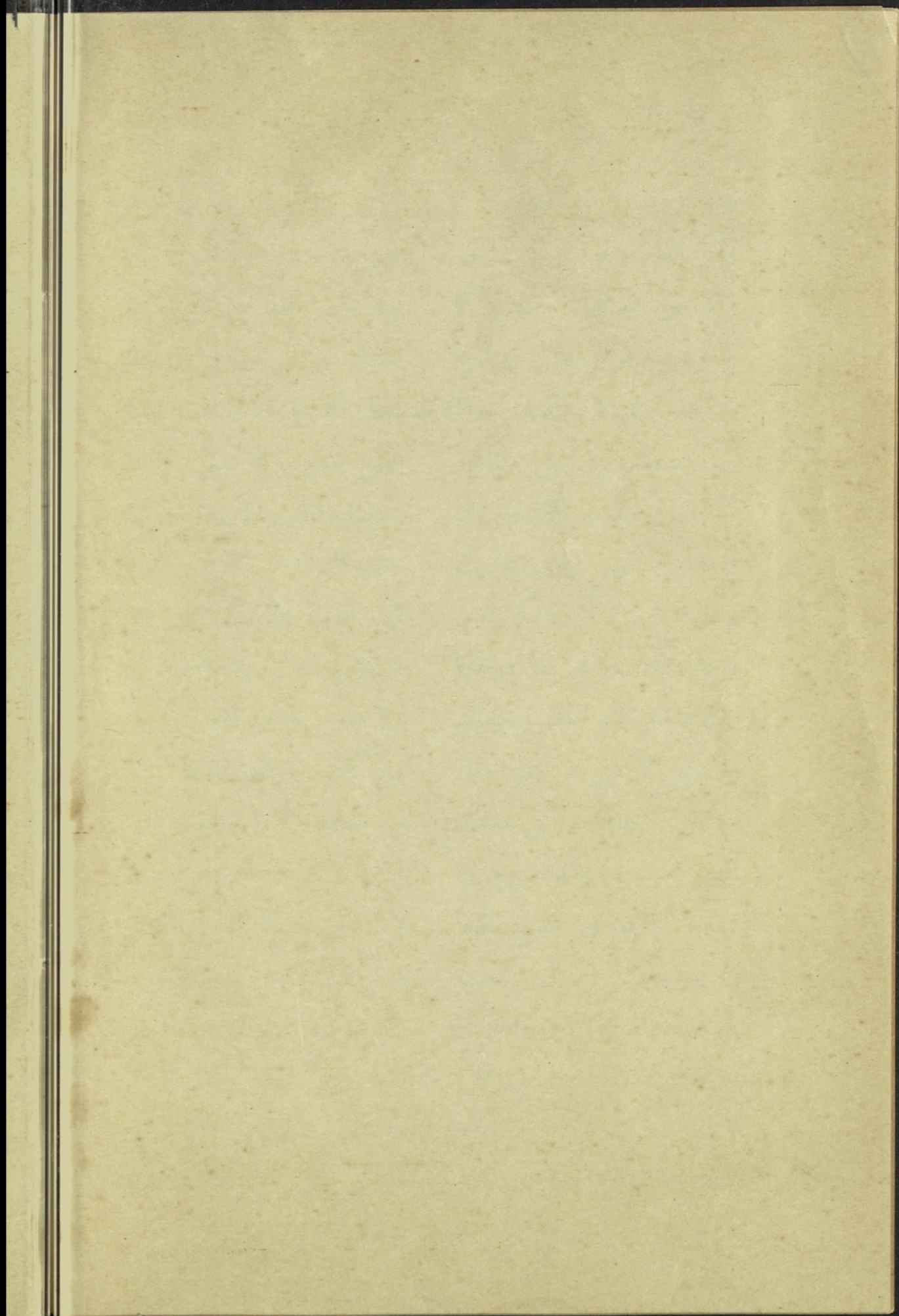
ورث منها جديد عندهم وبلى

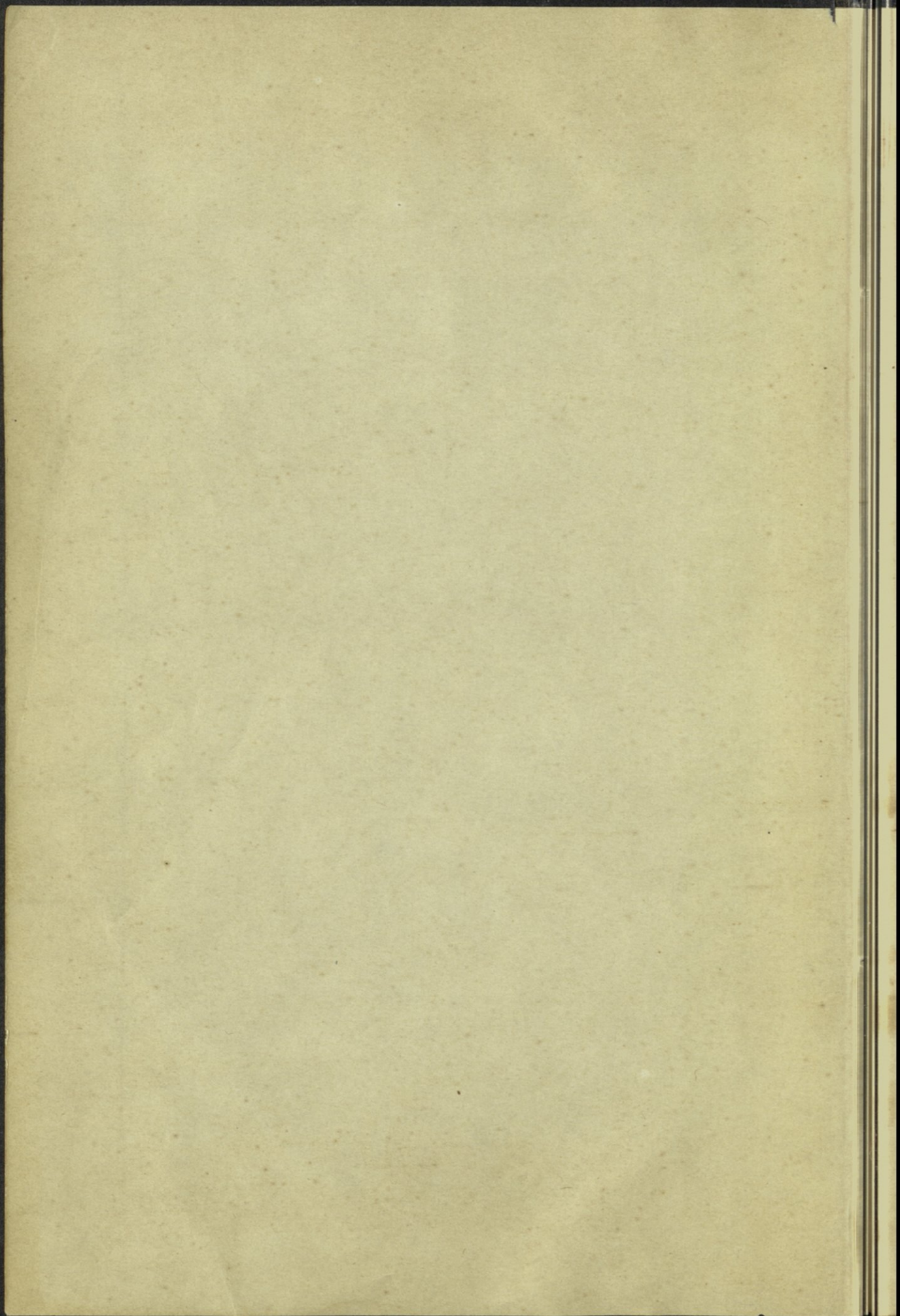
منازلهم في اوان لا تستعاد ويبلغ ما يصرف في شراء اصنافها كل سنة عشرة الاف دينار (خارجا عن اجرة الصانع وعددهم مائة ومرتبات الناظر والمشارف) وقد فصل الاصناف فقال دقيق الف حمله . سكر سبعماية قنطار قلب فستق ستة قناطير وقلب لوز ثمانية وقلب البندق اربعة والتمر اربعة مائة أردب والزيب ثمانية والخل ثلاثة قناطير وعسل النحل خمسة عشر قنطارا والشيرج مائتا قنطار ومن الايسون والسهمس اردبان . زيت طيب يرسم الوقود (في دار الفطرة) ثلاثون قنطارا ما ورد خمسون رطلا مسك خمس نوافج كافور عشرة مثاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما قال وكانت التفرقة بمقتضى ادعية (كشوف) تخرج من الديوان بأسماء ذوى المرتبات ومقدار مرتب كل من ربع قنطار الى رطل واحد (٣) قال بعض مؤرخيهم ومن اخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة الى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلود بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونقيس الملبوس . قال وسمعت من يتول انه حضر كسوة القصر التي تخرج في الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة الف دينار وكانت خلعتهم على الامراء الثياب الديبقي والعمائم بالطراز الذهب . ويخلع على اكابر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضاً عن الطوق العقد الجواهر وبلغ عدد القطع التي فرقت سنة ست عشرة وخمسمائة اربعة عشر الفا وثلثمائة وخمسة قطع

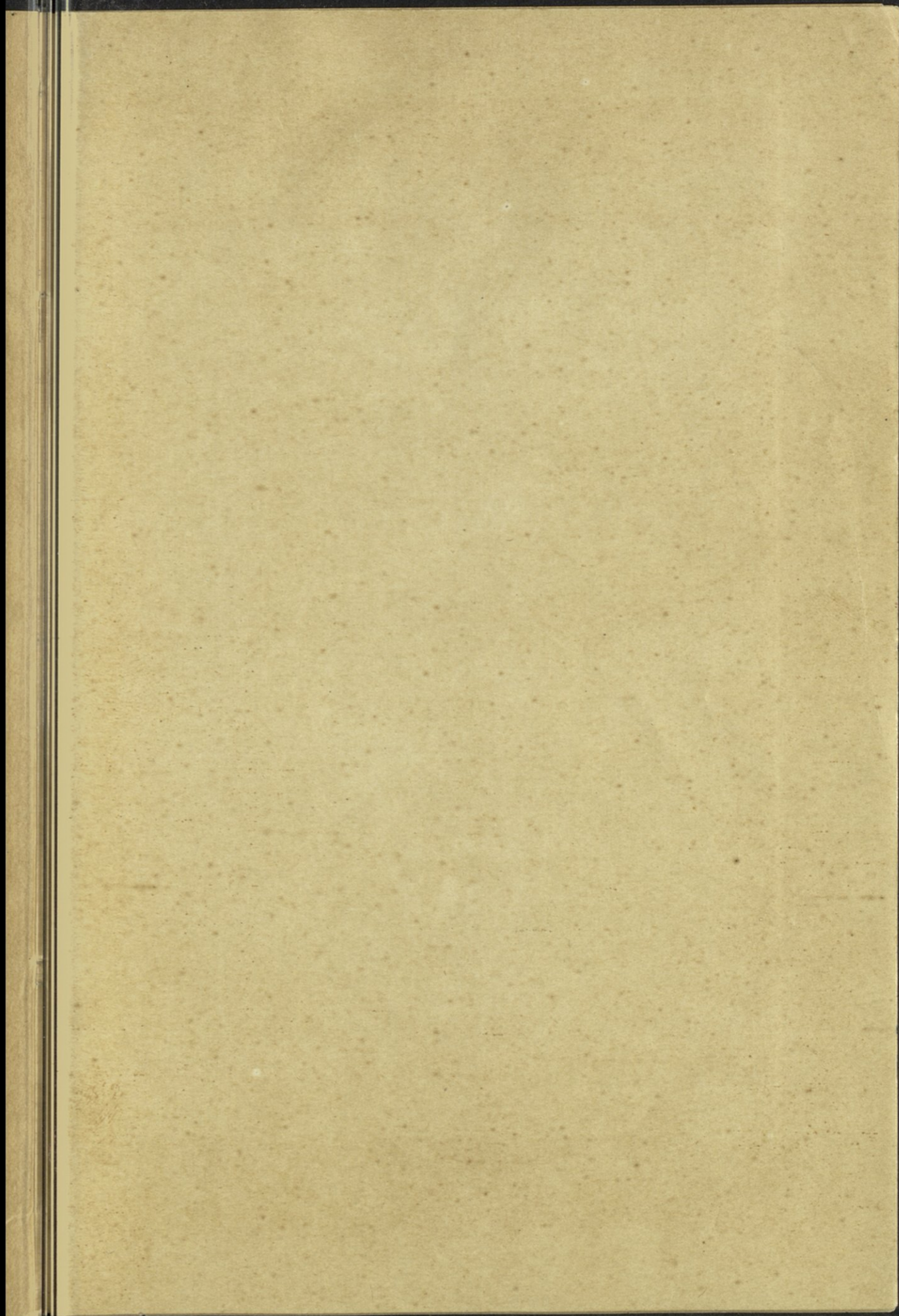
وموسم كان في يوم الخليج لكم
 وأول العام والعيدن كم لكمو
 والارض تهتز في يوم الغدير كما
 والخيل تعرض في وشى وفي شية
 ولا حملتم قري الاضياف من سعة الاطباق الاعلى الاكتاف والعجل
 وما خصصتم ببر أهل ملتكم
 كانت رواتبكم للامتين وللد
 ثم الطراز بتنيس الذي عظمت
 وللجوامع من أحسانكم نعم
 وربما عادت الدنيا فمعقلها
 والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم
 ولا سقى الماء من حر ومن ظاء
 ولا رأى جنة الله التي خلقت
 أمتى وهداتي والذخيرة لى
 تالله لم أوفهم في المدح حقهم
 ولو تضاعفت الاقوال واتسعت
 باب النجاة همو دنيا وآخرة
 نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل م
 أمة خلقوا نورا فنورهم
 والله ما زلت عن حبي لهم أبدا

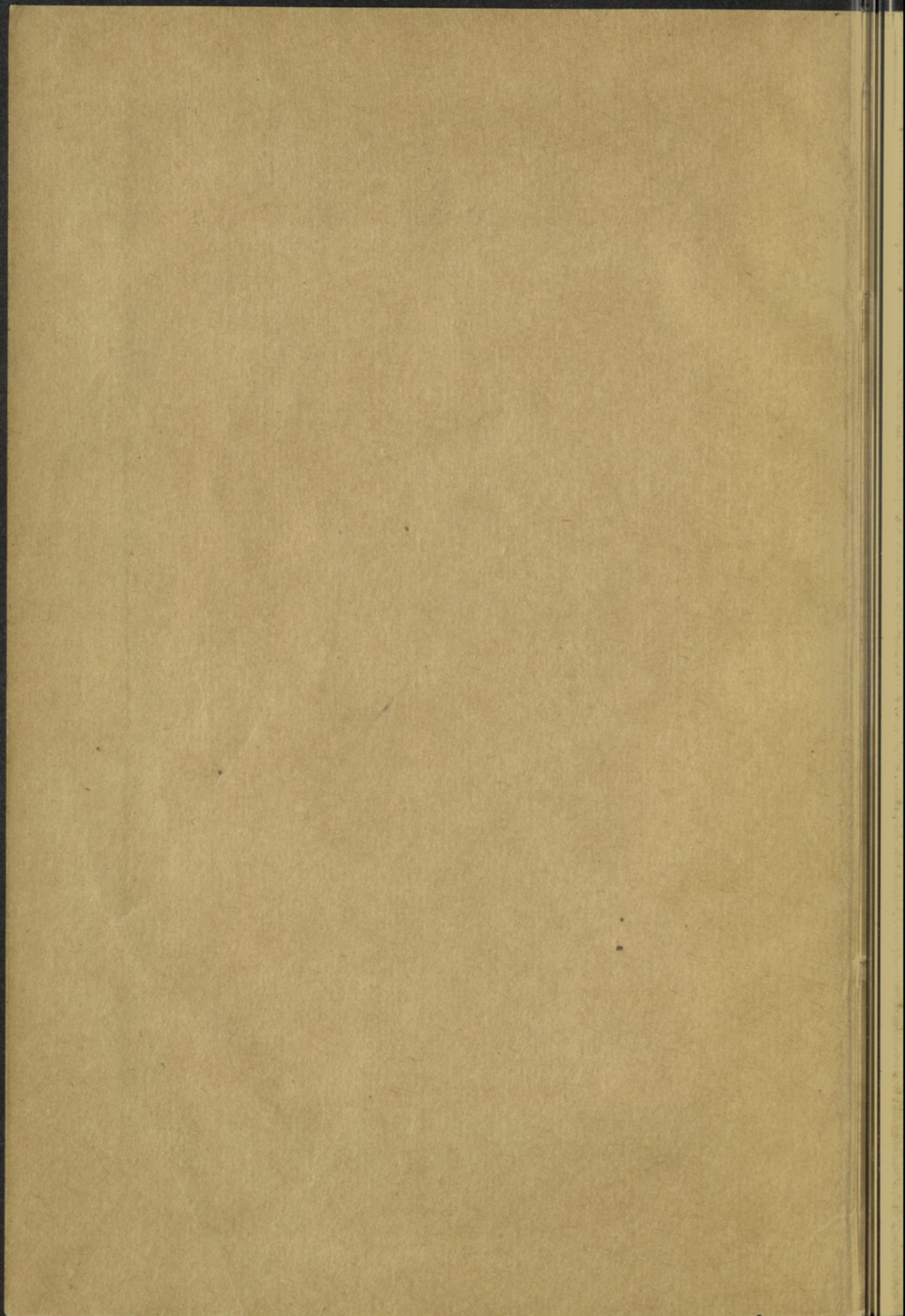
يأتى تجملكم فيه على الجمل
 فيهن من وبل جود ليس بالوشل
 يهتز ما بين قصر يكمن من الاسل
 مثل العرائس في حلى وفي حلل
 حتى عمتم به الاقصى من الملل
 ضيف المقيم وللطارى من الرسل
 منه الصلات لإهل الارض والدول
 لمن تصدر فى علم وفي عمل
 منكم وأضحت بكم محلولة العقل
 ولا نجامن عذاب الله غير ولى
 من كف خير البرايا خاتم الرسل
 من خان عهد الامام العاضدين على
 اذا ارتمنت بما قدمت من عملى
 لان حقهم كالوابل الهطل
 ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
 وحبهم فهو أصل الدين والعمل
 الغيث ان ربت الأنواء في المحل
 من محض خالص نور الله لم يقل
 ما أقر الله لى في مدة الاجل



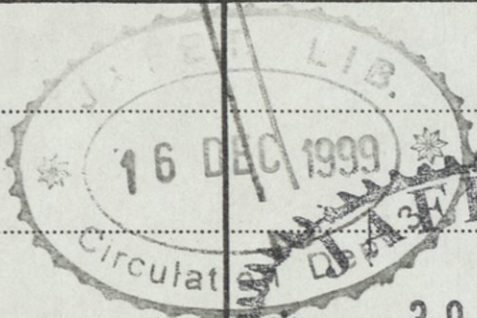












DATE DUE

DATE DUE	
	
	
	
	
	

808.6:I13kA:c.1

بهجت، على

قانون ديوان الرسائل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01030410

American University of Beirut



808.6

I13kA

General Library

808.6

I 13 k A